وثبة الشرق

اسماعيل مظهر

AUC Library
main
CB 251 M35 1929 c.1
MAZHAR, ISMA/WATHBAT AL-SHARQ
3 8534 00894727 1

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

OS-B106G3 Pwt

حرر فكرك

CB
251
M35
1929

وثبة الشرق

بحث

في أن العقلية التركية الحديثة هي مثال العقلية السليمة
التي يجب أن ينتحلها الشرق
ليجاري سير الحضارة العالمية

****

بقلم

اسماعيل مظهر

عضو المجمع المصري للثقافة العلمية
وصاحب مجلتي العصور الشهرية والأسبوعية ومحررهما

جميع الحقوق محفوظة

****

١٩٢٩

دار العصور للطبع والنشر : بشارع الخليج المصري بالظاهر : بمصر

C 57220
93400

OCLC
1228993?7

B11400262
11632057

949.6
M457

٩٥٦,١٧
م١.و

15724

مقدمة

فوزى

لا أظن أن من الأقوال التى صدرت عن حكماء الغرب وكتابه قول هو أبعد عن محجة الصواب من قول الكاتب « ولز » — « الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا » — فانها كلمات أملاها غرور له مبرراته ، واعتداد بالنفس له نتائجه ومقدماته . على أن هذا القول لا يدل على شىء بقدر ما يدل على ضيق فى النظر وحرج فى النفس ، سببه حالات قامت فى الشرق ناظرتها حالات ارتقائية قامت فى الغرب ، فقعدت حالات الأول به عن اللحاق بالحد الذى وصل اليه الثانى.

على ان محور هذا القول يدل على عقلية تلزم صاحبها الاعتقاد بان الشرق لن يستطيع أن ينتحل عقلية الغرب ليلتقى الاثنان فى ميدان الجهد الانسانى . ولا جرم أن هذا خطأ كبير وتعميم خطير النتائج بعيد الأثر فى الاذهان : وهو بعد ككل التعميمات الفلسفية الاجتماعية والاحكام العامة الرنانة ، تطن بعيداً ولكنك لا تجد لها من حقيقة مادية ترتكز عليها . ولعمرك كيف يمكن أن يقبل حكم كهذا الحكم ويؤخذ على أنه قاعدة ثابتة ، وأنت لو رجعت الى التاريخ القديم لوجدت أن اليونان كان لهم الحق فى أن يقولوا نفس هذا القول عن الشرق ، وان الشرق قدمرت به أدوار لا دور واحد ، كان من حقه أن يقول فيه أكثر من هذا فى الغرب وفى أوروبا بالذات ! إذن فهو تعميم لا قيمة له من جهة الواقع ، وانه كانت له مبررات زمانية ، وظواهر لا يمكن نكرانها فى هذا العصر . وأنت اذا رجعت الى حالات اليوم والساعة التى قال فيها « ولز » هذا القول وقستها بحالات الشرق فى هذا العصر ، لوجدت أن مبرارت هذا القول أخذت تتضاءل وتزول أهميتها شيئا بعد شىء. ولا نبالغ اذا قلنا بان هذه الكلمة التى طنت فى أوروبا وتجاوبت بها أنحاء الشرق زماناً كادت تصبح من الاقوال المنبوذة . بل أصبحت صورة حفرية لعقلية قامت فى الغرب فى الزمان الذى كان المريض العثمانى ملقى فيه على فراش المرض ، والامبراطورية التركية آخذة فى سبيل الانحلال ، ومصر مستنيمة لحكم الغاصبين ، والهند مشغولة بحزبياتها الدينية ، وفارس خاضعة لنفوذ روسيا ، والافغان راتعة فى جبالها منقطعة عن عمران

الحضارة ، وشمال أفريقية نهب للجشع الفرنسوى من ناحية ، وسوء الادارة التركية من ناحية أخرى ، وسوريا وفلسطين والعراق مستنيمات فى سبات عميق ، كأن الفلك مادار من حولهن ، وكأن عجلة الزمان مالفت على أهل هذه البلاد .

ولاشبهة فى أن هذه الحالات قد تغيرت الآن فتغيرت معها تلك العقلية التى أملت هذه الكلمات . ويكفيك أن تعرف أن السلطات الاستعمارية أخذت تعترف شيئاً بعد شىء بحق الشعوب الشرقية فى الحياة ، مجبرة على ذلك بحكم المقتضيات التي تلزم الناس والشعوب على تغيير عقلياتها وأساليبها خضوعاً لحكم الظروف ، ابتغاء الموازنة بين الحاجات والضرورات

ولقد مرت باوروبا برهة من الزمان اعتقد فيها المفكرون ان الدين الاسلامى زائل يوما من الايام وان العقلية الشرقية لن تخرج من تلك الدائرة الضيقة التى رسمها الفقهاء خلال القرون . فظهر أثر هذه العقيدة الغربية فى السياسة الدولية وعملت الدول الاوروبية على تقسيم الامبراطورية العثمانية الى مناطق نفوذ تختص كل دولة بمنطقة منها وتكون من حصتها عند تقطيع أوصال الغنيمة اذا ماحان لذلك الوقت الملائم. ولقد تمزقت الامبراطورية العثمانية كما تمزقت الامبرطورية النمساوية . ولكن من من الاوروبيين يستطيع اليوم ان يدعى أن الشعوب التى انفصلت عن الامبراطورية العثمانية أقل شعوراً بحقها فى الحياة ، من الشعوب التى انفصلت عن الامبراطورية النمساوية ؟

لقد اعترف للشرق بحق الحياة . واعترف الاكثرون انه قد يلتقى الشرق والغرب فى ميدان الجهاد الانسانى . فلنعمل اذن على تحقيق ذلك فى أكبر دائرة من الامكان .

. . .

لانكران مطلقاً فى أن العقلية التي نشأت فى الشرق ، ونقصد به آسيا فى الغالب هى العقلية التى لاتلائم مزاج هذه الحياة . هى العقلية التى لاتتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا . بل أنت اذا قلبت أوجه النظر فى هذه العقلية الفيتها تلائم من كل نواحيها الحياة الاخرى . نكران لكل مطاليب الحياة ، وتواكل على القضاء والقدر ، واستسلام صرف لما سوف يأتى به الغد ، واغفال محض لمواعظ الماضى وعظاته . هى عقلية توافق المزاج الانسانى فى غرارته الاولى وبساطته وأساطيره ، عندما أخذ فجر العقل

س من خلال الظلمات الاولى. ولقد عيب على الشرق أن يكون هذا حال عقلية له ! وفى الحق أن الشرق يجب أن يعاب عليه تواكله واستسلامه للمقادير وخضوعه مرائه من ناحية ، ورجال الدين والفقهاء من ناحية أخرى. غير أن أخذ الشرق بهذه لمناقص الكبرى من غير تعليلها تعليلا يظهر حقيقتها ، غبن فاحش على الشرقيين ، والاستسلام الشرقيين لمثل هذه التهمة الشنعاء أمر يعابون عليه أكثر مما يعاب عليهم توارثهم لمثل هذه العقلية منذ أبعد عصور التاريخ .

كان الشرق مهد الانسان ، فيه ظهرت جماعاته الاولى، وفى وديانه الخصيبة نشأت الحضارات البدائية التى جاهد الانسان فى سبيل الفوز بها وتناحر من أجلها مع وحوش الغابات وميكروبات الماء والهواء والطفيليات ، وجالد العناصر الطبيعية وقواسر المناخات المختلفة ، حتى استطاع فى النهاية أن يستقوى عليها جميعا ، فيرث الارض ومن عليها ، ويشيد تلك الحضارات العجيبة تتلو احداها الاخرى كانها فى ظلال التاريخ أشباح مردة من الجن أو جبابرة من الخيال تتصارع فى أفق الروايات الانسانية صراع الكواسر عضها الجوع أو أخذتها غضبة الانانية . فتلوح كأنها فى ميدان حرب تتناوب فيه الغلبة حيناً والانكسار حيناً آخر ، وأنت بين هذا وذاك ترى المدنيات تنشأ تدرجاً وتقوم لماماً على المسرح الانسانى ، ثم لاتلبث أن تراها تنهار وتتقوض دعائمها ، كما لو كانت جدراناً متداعية ، وضع الفأس فى أصولها جبار قوى الأصلاب

ترى هل كان غير الشرق من بقاع الكرة الارضية ميداناً لمثل هذا الصراع ؟ وهل كان غير الشرق مسرحاً لتغالب هذه القوى وتفانيها ؟ هل كان غير الشرق مهداً للجماعات الانسانية الأولى ؟ كلا . ففى ذلك الوقت الذى جالدت فيه جماعات الانسان الاولى الوحوش والعناصر لتفوز بالغلبة عليها فى أنحاء الشرق ، كانت بقية الكرة الارضية ملكا لغيره من الحيوانات العليا من ذوات الثدى . غير أننا نتساءل وقد نشأ الانسان نشأته الاولى ضعيفاً فى القوة البدنية ، بل حيواناً شجرياً بسيطاً من حيث القيمة الجثمانية ، كيف استطاع أن يتغلب مع هذا على غيره من الحيوانات الكبيرة ؟ استطاع أن يتغلب عليها بكفاءاته العقلية التى نشأت فيه على مر الازمان واستطاع بها أن يتغلب على غيره . فلما احتاج الى زيادة استعمالها نمت وكبرت مع الزمان

وتطورت نشوءاً على مدى الاحقاب . وفى هذا الطور ، الطور الذى بدأ الانسان يدرك فيه أنه سيد المخلوقات وأنه يمتاز عليها بقوة العقل ، بدأ طور الفلسفة على قدر ما استطاع الانسان أن يدرك من حقائق الموجودات . وكانت النشأة الاولى بالضرورة من موضوعات تفكيره . فقد رأى الحياة يتلوها الموت والموت تتلوه الحياة على التعاقب والتواتر ، ففكر فى تخيل ثم استوى على الصورة اللاهوتية الاولى التى هى أول مدارج العقل الانسانى فى تقسيم « كونت » لصور النشوء الفكرى فى الانسان .

وكان من نتاج ذلك أن يختص الشرق بوراثة متأصلة فى تضاعيف فطرته وحاجة لاشعورية جرى عليها ، هى الحاجة الى القيادة الروحية والاستسلام اليها فنشأت عن ذلك صور متخالطة من صور الميثولوجيا دارت كلها حول الخلق والعدم والحياة الاخرى . وكان من الضرورى ، مادامت الحياة فوق هذه الارض لادوام لها وكانت باقية فى العالم الثانى ، أن ينصرف اللاهوت فى الشرق ناشئاً عن الميثولوجيا القديمة الى الحياة الاخرى ، وأن يبشر بهذه الاسطورة لاهل الشرق . ولكن العجب أن يظل الشرق عاكفاً عليها ؛ فى حين أن الغرب يتغلب ويستقوى عليها فيفوز الغرب بالحياة ويفوز الشرق بخيال الآخرة . هذا مع اليقين بأن الغرب قطعة من الشرق انفصلت عنه ، كما انفصل القمر عن الارض منذ بداية التكوين .

لاشك فى أننا نستطيع أن نعلل هذه الظاهرة تعليلا طبيعياً . فانك اذا تخيلت قبيلة من القبائل بدأت هجرتها من أواسط صحراء « التبت » مثلا متجهة نحو الغرب ، واردت أن تعرف أى عناصرها الأقوى ، على فرض أنها أخذت تهاجر ، مستمرة فى هجرتها الى آخر مدى يمكن أنه يبلغه افرادها ، فلاشك فى أنك تحكم بان أقل افرادها قوة هم الذين يقفون عند حدود فارس وأوسطهم الذين يبلغون العراق وأشدهم الذين يجتازون مضيق البوسفور . تجربة طبيعية تدل على صفات كامنة . وهى أن دلت فى أول ما تدل عليه على صفات جثمانية فائقة ، فهى راجعة الى صفات نفسية أيضاً . الى صفات الاقدام والشجاعة والتغلب على المخاوف ، تلك الصفات التى لا يمكن أن تبرئها من أثر القوة العقلية أو تبرىء القوة العقلية منها . فاذا رجعنا الى المستكشفات الحديثة فى علمى الانسان والشعوب واعتمدنا على ما وصل اليه العلم فيهما ، وفرضنا أن الانسان نشأ فى أواسط آسيا ، استطعنا بنظرة واحدة فى توزيع الشعوب البشرية فى آسيا وأوروبا أن نثبت هذه الحقيقة . ففى الطرف الغربى من

أوروبا أرقى أمم التيوتون والانجلوسكسون ، يناظرهم في الطرف الشرقي من آسيا أرقى أمم المغول. بريطانيا العظمى من ناحية ، واليابان من ناحية أخرى. ولقد فازت الاولى في ثلاثة قرون بحكم الدنيا . ومن ذا الذي يعلم ماسوف ينجلي عنه مستقبل الثانية .

هذه الحقيقة التي لا ينازع فيها هي السر في تقدم الغرب وتأخر الشرق . وانك لتجد أن صفاء العقلية يتدرج من حدود روسيا الى الجرز البريطانية ومن حدود بغداد الى اليابان . بل انه يتدرج في سلسلة عجيبه من الحلقات المتتابعة .

اذا أدركنا هذه الحقيقة عرفنا لماذا ارتقى الغرب ولماذا اترك الشرق غارقاً في بحار الدينية مستسلماً الى الآخرة مستنيما لحكم الفقهاء والأمراء المستبدين بأمرهم الممثلين لله فوق الأرض . فكرات حملها المقدمون فصارت لهم تبعاً ، وغرق في بحارها الجامدون فصاروا لها تبعاً . هذا كل ما في الامر .

ولكن هل يمكن لمن ظل جامداً من شعوب الشرق وورث عن النشأة الاولى موحيات اللاهوت البدائي، أن ينتحل العقلية المرنة التي دفعت باهل الشرق الاقصى الى المحيط الهادى ، ولولاه ماوقفت هجرتها ، ورمى باهل الغرب إلى بحر الظلمات ولولاه لصادها عن الاقدام صاد ولاحال دون هجرتها حائل ؟ لا اعتقد أن هذا من المستحيلات، بل أعتقد أنه اهون الممكنات . ولكن بعد بضعة تجاريب بسيطة . هزات عنيفة تحرك الجمود ، ودماء تراق في سبيل العتق ، وثورات طاحنة ، كانت ثورة الاتراك أولاها ، وثورة الأفغان ثانيتها .

هذا هو التعليل الصحيح للمبررات التي جعلت لقولة « ولز » ذلك الصدى العميق . وهي على مافيها من بساطة التركيب ، مبررات على كل حال . ولكنها لا تقوى على مقاومة التحليل التاريخي على ما أرى .

ولست أريد أن أستعمق بعد هذا التحليل في البحث والتنقيب . فالحقائق بينة والطريق ممهود ، لولا بعض عقبات ليس تذليلها في حيز المستحيل ! لهذا نترك البحث لنمهد لك طريق الدخول لاستيعاب العقلية التركية الحديثة التي هي في معتقدى مثال العقلية السليمة في الشرق الاوسط أو الشرق اللاهوتي ، وارث الجمود والاساطير .

...

مامن شبهة تقوم فى عقل المؤرخ فتورثه الحيرة والارتباك ، أكبر من تلك الشبهة التى يحاول أن يتخلص منها فى كل مدرج من مدارج التاريخ البشرى إذ هو مكب على رواية حوادثه ، شبهة أنّ المدارك الانسانية ناقصة وأن النفسية الضمامية أى نفسية الجماعات ، نفسية بدائية فيها غرارة الفطرة الاولى ، وسذاجة الطفولة ، وضعف الخنوثة واستكانة الرق والعبودية .

هى لدى الواقع حقيقة ثابتة تقوم فى عقلية المؤرخ لابسة صورة شبهة أو شك مبهم غامض ، ذلك لأن المؤرخ ان استطاع أن يدرك حقيقة البشرية على صورتها الصحيحة ، فهو أول شىء مغلول الفكر بأنه أحد أفراد بنى الانسان ، إن شك فى مداركهم فقد شك فى مداركه ، وإن أنحى عليهم بالنقد فهو بدياً ينتقد شيئاً هو جزء منه ، وقطعة لايمكن أن تنفصل عن أصلها إلا الماماً ، لتعود اليه مرة أخرى بقوة جذب خفية عميقة الأثر فى تصاريف الحيوان الناطق .

هو يعلم بأنه مكب على رواية سخافات جديرة بأن يكون الانسان خالقها من العدم وسفاسف ماقامت فى عالم الحياة إلا بقيام الفكر البشرى مسوداً على مافى الحياة من صور . ثم هو بجانب هذا يحاول دائما أن يستمد من الخيال قوة يستقوى بها على منازع النقد ليخفى الحقيقة عن نفسه أولا ، ثم يحاول اخفاءها فيما بعد عن بقية الناس .

هو يعلم أن كثيراً من النظامات البشرية نظامات بربرية وحشية ، وأن خضوع الجماعات لهذه النظامات بحكم العادة أحد مناقص الطبيعة الانسانية ، وجزء لاينفصل عن طبيعة الضعف الكامن فى قلب الانسان ، ولكنه مع هذا يحاول أن يجد لهـــذا الضعف مبرراً ولتلك المناقص أعذاراً واهية ساقطة ، بله الدفاع عن نظامات ان دلت على شىء ففى أول ماتدل عليه نقص فى الفطرة وميوعة فى طبيعة الاشياء الانسانية ، هى لدى الواقع إحدى المكونات الاولية التى استحدثت ماندعوه بالتاريخ الانسانى

هو يعلم أن الاوهام هى التى شيدت معابد الكلدان ومصر ، وانها هى التي الهت بوذا وكونفوشيوس ، وانها هى التى اقامت الاهرامات ، وان هذه النظامات بعد ان استمدت من الاوهام اصلا قامت عليه ، أخذت تعمل على ان تمد من أجل الاساطير

وتطيل من عمر الخرفات . ومع ذلك فهو يحاول أن يدافع عن أشياء اساسها الوهم وأصلها الخيال .

هو يعلم أن نظام الملكية نظام مستمد من أصول وحشية أولى ونظامات بدائية قيامها فى العصر الحاضر بمثابة الاحافير تقوم فى باطن الارض برهانا على ان صورا من أمثالها عاشت على الارض فى عصر من العصور ، ومع ذلك تجد المؤرخ يحاول الدفاع عن هذا النظام ان كان فى نظام ملكى ، كما يدافع عن الجمهورية اذا كان فى نظام جمهورى ، وعن الفوضوية اذا كان فى نظام فوضوى ، على سعة مابين هذه النظامات من تباين وأختلاف .

هو يعلم أن نظام الخلافة نظام فاسد ، كما كان نظام البابوية فى روما ، ولكنه مع ذلك يحاول ان يستمد من التاريخ مبررا له ، أو يعمد الى القول بانه نظام ليس من روح الاسلام فى شىء .

شبهات وشكوك وابحاث ضائعة ، فيها من المواربة والتلف ماتغنى عنه كلمات وجيزة ، واسطر معدودة . شبهات وشكوك اول باعث عليها شعور عميق بما فى النظامات الانسانية من نقص ، لا يبعد أن يكون فى العقل الانسانى نقص يناظره ، به يبعد الناس عادة عن رؤية الحقائق كما هى ، أو كما هى واقعة

صدر كتاب « الاسلام واصول الحكم » فحاول صاحبه أن يثبت أن الخلافة ليست من نظام الاسلام فى شىء وعمد الى أقوال المعاصرين فى صدر الاسلام والى الاحاديث . وهى أقوال وأحاديث ان دخل الشك فى شىء فهى أول مادخل فيه الشك ، وان تناوبت الشبهات على شىء فهى اول ماتناوبت عليه الشبهات . يعمد الى هذا ليبرر الغاء الخلافة . فهو فى ذلك مثال المؤرخ تشابهت عليه الحالات ، وقامت فى نفسه مشاعر ملؤها الاعتقاد بالنقص الانسانى وخضوعه للاوهام ، فحاول ان يستمد من غير الواقع اوجه دفاع عن النفس الانسانية اولا ، ثم عمد بعد ذلك الى تقرير مايخالف الواقع ارضاء لمنازع فئات هو يعتقد أنها مخطئة وأنها على ضلال . ولو أنه ترك كل هذا وقال ان الخلافة نظام ورث عن الاسلام ولكنه لايوافق روح العصر ولاحاجات الزمان الحاضر ، لوجد انصاراً من نفس الذين يخالفونه فى رأيه الاول مصبوباً فى القالب الذى صبه فيه ، ولكان

أقرب الى الحقيقة ، وأقرب لفضائل المؤرخ تخلص من شبهات الوهم التى تقوم فى الذهن عادة لدى التفكير فى نظام الجماعات .

ولسنا نريد أن نفتح بابا جديدا يلجه المؤرخون و يأخذون بتلابيبنا كما يفعل الأدباء فى مناقاشاتهم الأدبية ، قائلين اين الحجة التى تؤيد بها أن الخلافة أصل من أصول الاسلام ؟ والحقيقة أن الخلافة ليست أصلا من أصول الاسلام ، ولكنها كما قلنا نظاما ورث عن الاسلام فى نشأته الأولى . فان محمداً كان نبيا ومشرعا وقائد جيش ومقيم امبراطورية وملكا غير متوج على معنى الملكية قديما وحديثا ، بل حصرت فى شخصة قوة السلطتين الروحية و الزمانية . وعلى هذا النظام سار الخلفاء الراشدون من بعده ، وعنهم ورثها معاوية فى الشام ، والعباسيون فى بغداد ، والفاطميون فى مصر ، والعثمانيون من بعدهم .

اذن فالخلافة «نظام» اسلامى مأخوذ من روح الاسلام ومن تقاليده الموروثة التى قام عليها فى نشأته الأولى . وكان لزام على الاسلام أن يحصر السلطتين فى يد موجده أولا ، فى عصر كثرت فيه الفتن و قام العرب يناؤون الاسلام والمسلمين . فلما مهدت الحروب الداخلية سبيل الحياة بعد انتصارات أيدته ورث النظام وعليه سار الاسلام والمسلمون .

لهذا نعمد إلى مؤرخ ثبت ننقل عنه قطعا نثبت بها أن الاسلام كل لايتجزأ و وحدة لا تفصم عراها ، وأن الخلافة باعتبارها نظاما أسلامياً لابد من أن تكون أحد أجزاء السلسلة التى تكون عقد الاسلام

نعمد إلى العلامة كارل . ه . بيكر Carl. H. Becker وزير الفنون والعلم والتربية فى ألمانيا - ١٩٢٧ - وهو أحد مشهورى المستشرقين . أما ابحاثه الاسلامية فتعتبر من أدق المباحث واطلاها وأكثرها ابتكارا وأعمقها فكرة واصحها سندا . ولقد ترجم كتابه المعروف « فتوحات العرب » إلى الانجليزية وضمته جامعة كمبردج إلى مجلداتها التى تخصصها لدراسة تاريخ القرون الوسطى - ١٩١٢ - وله مجلة ذات شهرة واسعة اسمها الاسلام . Der Islam - تكاد تكون المحور الذى تدور من حوله كل الابحاث المبتكرة فى تاريخ الاسلام ونبعا فائضا للتنقيب المنتج فى

أخص المسائل التى تتعلق بالمدنية الاسلامية . اما مانقله هنا ، فمن مقالة له تحت عنوان « الاسلام فى التاريخ » نشرت فى مجلة « الأمم » التى صدرت فى شهر فبراير سنة ١٩٢٧ : قال:

« تستعمل لفظة « الأسلام» عادة فى كثير من المعانى المختلفة.فقد نستعملها لتدل على دين الاسلام ، سواء أتكلمنا فى تعاليم محمد الاصلية ، أم فى مجموع المذاهب القديمة التى هى شيء مختلف تمام الاختلاف عن تلك التعاليم ؛ أو فى دين المسلمين المعروف اليوم فى آسيا وافريقية . وسواء أوعينا فى اذهاننا أوجه النشاط الدينى التى يبديها الاتراك أوالزنوج ، وسواء اتكلمنا فى الغزالى أو فى المهدى السودانى ، فاننا نستعمل اللفظ ذاته ونقول « الاسلام » . وكلما كانت معارف الناس اقل ، كانوا اشد نزعة الى التعميم . فمن ذا الذى يجرؤ مثلا على أن يصف الاوضاع الكنسية فى بلاد الحبشة بانها ذات النصرانية، من غير ان يعرض نفسه للاستهزاء والسخرية ؟ ولاجرم ان القول بان هذه الاوضاع هي بذاتها البروتستانتية النصرانية ، من غير تعديل أو تكافىء بين الحالات، لابعد عن أن يتورط فيه باحث يزن الاشياء بميزانها الصحيح »

« ولم نكتف بهذا بل استعملنا لفظ « الاسلام » ليدل على احدى امبراطوريات الشرق العظمى ، أوعلى كل الحكومات المتفرقة التى كانت تنشأ عادة على انقاض الامبراطوريات الكبرى وبقاياها ، حتى لقد نطلق الاسم على الحكومات المحمدية التى نراها قائمة فى الزمان الحاضر . غير أننا لم نعن « بالاسلام » مجرد الحكومات الفعلية ، بل صرفناه على شيء اكثر من هذا خطرا . فعرفناه على انه نظرية سياسية ، سوا اقامت تلك النظرية على مذهب سياسى أو مبدأ تنزيلى »

« وكلما استعمقنا فى بحث هذا الموضوع ، ازددنا اقتناعا بضرورة التفريق بين لمدلولات . غير أنه ليس فى وسعنا أن نقرر بصلابة أن تعريفاً جامعاً مانعاً يجب أن يوضع لتحديد مايعنى بلفظ « الاسلام » فى كل حالة من الحالات الخاصة ، وعلى الأخص اذا عمدنا الى وضع تقديرات معينة للقيم المتناظرة . على ان الباحث الاختصاصى ، مهما جهد نفسه فى التحوط والحذر ، ومهما بذل من عناية فى استخلاص تلك التحديدات الضرورية ، فانه لامحالة يستعمل تلك اللفظة العامة ـ « الاسلام » . على أنه يجب أن

نتساءل ! هل لهذا من مبرر ؟ أو بعبارة أخرى : هل كل المعانى المختلفة التى يجمع بينها هذا الاصطلاح تدخل حقيقة تحت مدلول « الاسلام » عامة ، ذلك المدلول الذى لا يخرج بدياً وتخصيصاً عن أنه دين ؟ غير أن هذا السؤال قد أجبنا عليه مقدماً وحددناه ، اذ قلنا بأن اصطلاح « الاسلام » ومسألته فى التاريخ ، قد استعملناه من غير أن نضيف الى ظاهره مدلولات أخرى . »

« أما وقد حللنا كلمة « الاسلام » ، فانا بذلك نكون قد جاوزنا النظر فى العوامل الاساسية ، التى اذا أخذت فى مجموعها ، كونت ذلك الشىء الذى نحس بأنه التصور الوحيد الذى يمكن أن نكونه فى « الاسلام » : أي ذلك الايمان الكلى المتماسك الاطراف ، وذلك المثل السياسى الاعلى المتآلف الأجزاء ، وتلك المدنية المتناسقة التى تتمشى فى اجزائها فكرة الوحدة والائتلاف ، والتى فضلا عما نجد فيها من الاختلافات الموضعية ، نلمح فى مجموعها وحدة المثل العليا ، كما نقع فيها على شىء من الوحدة فى العمليات . وما من شك فى أن « الدين » هو الذى يجمع بين هذه العوامل الشتيتة ، وان الفكرتين السياسية والمدنية ، كليهما ، لم يكونا ليتشرا ويثبتا مع الزمان لولا قيامهما على قاعدة الدين . وكذلك نجد فى الوقت الحاضر أن « الاسلام » رابطة من الوحدة قوية ، عادلت فى كل عصور « الاسلام » قوة « القومية » الشديدة الأثر فى النفوس ، فجمعت بين الناس وكونت منهم عصباً أقوى وأشد مراساً . فان زنجياً من زنوج قبيله « الونغيدو » — Wangido — فى شرق افريقية الالمانية اذا أصبح مسلماً فانه لا يتسمى باسم قبيلته . بل يتسمى بالاسلام (١) ويصبح العربى أخا للزنجى المسلم . وبذلك تتماسك كل الخيوط المختلفة وتتفق كل النزعات المتباينة ، من حول المركز الدينى فى «مكة» . وفى مناوأة أوروبا على الاخص ، تجد أن المسلمين يشعرون شعوراً عميقا بأنهم وحدة متماسكة الاطراف . لهذا يحق لنا أن نتكلم ، مادام أن الدين يصبغ الحياة اليومية بصبغته الخاصة ، إن قليلا أو كثيراً ، فى مدنية اسلامية موحدة الاجزاء ، تنقل الى الذهن دائما حقيقة أن هذه المدنية الدينية مؤثر فصل ، يقطع بين حدين قطعا تاما .

---

(1) Missions - Blatter (journal of the st. Benedictus - Missions - Genossenschaft, st. Ottilien) XIII, Heft 9 P. 130.

« وهذه الحالات ، التى لانشك مطلق الشك فى أنها لاتزال قائمة حتى اليوم ، قد زادت الى صعوبة الفهم لدى البحث فى تاريخ نشوء الاسلام . واذ نعرف أن الدين الى الوقت الحاضر مايزال العامل الاقوى الذى تقوم عليه كل الاشياء الاخرى مما يتعلق بالاسلام والمسلمين ، وإذ نرى أن كل الظاهرات التاريخية الخاصة بالاسلام يجب أن يرجع فيها الى مؤسس الديانة ، فاى شىء يمكن أن يكون أقرب الى البديهة من أن نعتبر الدين العامل الاساسى أن لم يكن العامل الاوحد ، الذي تعود اليه حقيقة خلق مدنية أسلامية متلائمة الاطراف »

« ولدينا عامل آخر ، نتج عن العكوف على عادة النظر فى الاشياء من وجهة النظر الكنيسية ، تلك العادة التى ورثناها عن القرون الوسطى . ولاجرم أن هذا الاتجاه لايزال ثابتا فى نفسيتنا لدى النظر فى الاسلام ، حتى الوقت الحاضر . فقد اعتدنا فى القرون الوسطى ، حتى فى أوائل العصر الحديث ، أن ننظر الى الاسلام بديا على أنه دين معاد ، وضع حداً لانتشار المسيحية ، وهددها فوق أرضها تهديداً شديدا . وكانت النظرة التى نظر من ناحيتها فى نشوء الاسلام قد انحصرت فى الاعتقاد بأن الدين الجديد قد ملأ صدر العرب حماسة وأفعمها حمية ، وأن المسلمين قد اندفعوا الى الفتح الحربى تحت تأثير الرغبة الشديدة فى هداية أهل الأرض الى الاسلام ، وأنهم انما يعملون على نشر دينهم بالسيف ، وأن محمداً كان نبيا ورجلا سياسيا معا . بل اعتقد بأن الثقافة العربية ممزوجة بالدين الجديد — « الاسلام » — قد كونت تلك الصورة التى تعرف بالمدينة الاسلامية العربية ، وأنه على الرغم من أن عددا من النظامات والفكرات الجاهلية قد استمرت باقية ثابتة الاثر ، فان الدين وحده لم يكن السبب الذى خلق المدينة الجديدة ، بل صورها ونظمها لاغير . اذن فالدين هو القاعدة . وكل الصور النشوئية الأخرى ، لم تكن إلا نتيجة من نتائجه . فكان من الضرورى على مقتضى هذه الفكرة ، أن يدمغ الدين طابعه الثابت فى جبين الوحدة الصورية والخلقية . ومن هنا نشأت الفكرة فى مدنية اسلامية متلائمة الاجزاء ، موحدة الاطراف »

« ولا مشاحة فى أن كل باحث يتصل بكتاب العرب وفكره ملىء بمثل هذه الآراء

وبجانبها نظرة غير صحيحة تتكون حول تاريخ النصرانية (١) يجد أنها آراء لها سناداتها ومبرراتها . ذلك لان السلطات المحمدية لها قواعد كهنوتية مقررة مفروغ منها . كذلك تراهم يقررون جملة بأن نشوء الاسلام من خلق محمد ومن ابتكار الخلفاء الراشدين فى عصر الاسلام الذهبى . وعندهم أن الحكومة والمجتمع ، وكذلك الحركتان العلمية والاقتصادية ، جماعها تخضع للقواعد الدينية . وكان المتبع أن يخلع من هذه الارض الدينية التى اعشوشبت بمختلف النظريات ، كل نبتة طفيليه يمكن أن تنبت فى جنب من جوانبها وتنبذ نبذاً . إذن فالعالم الاسلامى محكوم بالدين سواء افى ماضيه أم فى حاضرة ، ولو نظريا على الاقل . »

«غير ان النقد الحديث لم يتناول هذه المباحث الا منذ عهد قريب لا يتجاوز بضعة عقود من الزمان ، وعلى الاخص بعد ظهور « تاريخ الثقافة » Kulturgeschichte- الذى ألفه العلامة الكبير « الفرد فون كريمر » Alfred von Kremer . ولقد نجحت الابحاث الحديثة تدرجاً وعلى مر الايام فى أن تتحرر من تقاليد الاسلام ، وعمد البحاث وطلبة العلم ، سواء أفى السياسة والشريعة ، أم فى الدين والحياة ، الى التفريق بين النظريات والعمليات . ولقد حققوا بهذه الوسيلة أن الانتصار فى المعركة التى قامت بين مطاليب الدين ومقتضى العادات القومية ، قد حالف الثانية دون الاولى ، بل أثبتوا أنه فى خلال الصراع الذى قام بين مختلف الآراء المتنابذة ، لم يكن اللون الدينى غالباً الا عبارة عن وضع أدبى ، لا أقل ولا أكثر . ورأوا ان الشريعة الدينية لم تنشأ متطورة عن الاوضاع التشريعية العملية التى كانت قائمة بالفعل ، بل أتت منابذة لها . ومن ثم اتضح ان بناة الامبراطورية العربية لم يكونوا يعملون على نشر الدين كسبب مباشر لفتوحاتهم على اطلاق القول ، بل عملوا ، فى أول ما عملوا له ، على تثبيت سلطة العرب الزمانية وتركيز سيادتهم فيما جاورهم من الامبراطوريات . ولا جرم أن جماع هذا يزود نا بمادة واسعة

---

(١) يشير الكاتب على الاخص الى ارنست ترولتش Ernest Troeltech فى كتابه

Die Soziallehren der christlichen kirchen (Collected Works Vol. I.)

ويعترف المؤلف بأنه مدين لهذا المؤلف بكثير من الفكرات التى عنت له فى خلال هذا البحث من قراءته لهذه القطعة وغيرها من القطع المتناثرة خلال هذه المجموعة

تشبع نهم الفكر . لهذا يحق لنا أن نتساءل ، حين نواجه هذه الحقائق ، اليست فكراتنا التقليدية التي ثبتنا عليها فى حقيقة الدور الذى لعبه الدين كعامل من العوامل المكونة فى الاسلام ، تحتاج الى تعديل وتحتاج الى اصلاح ؟ »

و بعد فان هذه الشروح و التحليلات القيمة لاتترك للمؤرخ الذى يريد أن يفهم الحقائق على صورتها الصحيحة مجالا للشك فى أن الوحدة الاسلامية من ناحية ، وان بناة الامبراطورية العربية لم يكونوا يعملون على نشر الدين كسبب مباشر لفتوحاتهم من ناحية أخرى ، كلاهما دليل صادق على أن الخلافة نظام ورث عن الاسلام ، لانها من ناحية جزء من نشأته الاولى ، ومن ناحية أخرى أساس قامت عليه الفتوحات ، وتكونت من فوقه دعائم لامبراطورية العربية . وهذه الحقيقة التي حاول مؤلف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » اخفاءها ، نقررها هنا على الضد مما ذهب اليه ، ثم نحكم من بعد ذلك بأن نظام الخلافة نظام فاسد لايتفق وروح هذا العصر

* * *

لم يبق بنا من حاجة لان نثبت ان الخلافة نظام اسلامى ورث عن بدايته الاولى . ولكن بنا حاجة لان نحلل نظام الخلافة ، ثم نعقب على ذلك بالكلام فى موافقة هذا النظام لروح الجمهورية الديمقراطية التى اصبحت طابع هذا العصر .

الخلافة نظام شاذ كل الشذوذ . ليس هو بسلطة روحيه فقط . ولاهو بسلطة زمانية فقط . هو نظام يجمع بين السلطتين ومزيج من قوتين يجب ان تظلا مفترقتين . هو نظام الدنيا والآخرة حصر فى يد فرد واحد ، فكان الحاكم بامره فى الناس ، وظل الله فوق الارض معاً . خليط من حقيقة واقعة وأسطورة موروثة سلطة لامسلط لها ، وقداسة لاسر فيها . وميراث عن بدايات كان لابد للاسلام أن يقوم عليها ، ظلت قائمة فى عصور اصبح فيها ذلك الميراث عاملا من عوامل الضعف فى الاسلام . ومركز للتعصب لامبرر له . وبؤرة تشع منها مفاسد الفقهاء ، فكانت على الاسلام حربا وعلى المسلمين شواظا من نار . قوة حصرت فى يد ، وكان فى الواجب ان توزع على أيد تتعاون على تسنم مدارج الحضارة . وفكرة تحجرت فتحجرت من حولها العقول وعميت البصائر . لقب فى غير موضعه ، وتاج مثل الارض والسماء . وصولجان

كانت كرته العالم الاسلامى وفيه ثلاثمائة مليون من النسمات البشرية ، استعبدتهم الاماء والسرارى ، ومن ورائهن الفقهاء . جمود لاحركة فيه والفلك يدور ، وظلام لاضياء فيه ، والدنيا يتناوب عليها الليل والنهار . قمع للفكر واطلاق للشهوة . كبت للضمائر وحرية للاوهام . تمثيل للاسلام ثم تمثيل بالاسلام . فناحية للبناء فى الظاهر ، وأخرى للهدم فى الحقيقة .

والخلافة فوق ذلك نظام ورث ظاهره وترك لبه . فاصبحت ميراثا ، بعد أن كانت بالبيعة فرصة انتهزها الانتهازيون من الفاتحين ، والمخاطرين من اللاعبين بمستقبل الشعوب فحصروا فى يدهم سلطتين بعد سلطة واحدة ، ورموا بسهمين عن قوس واحد . ثم ورث ما استولى عليه الانتهازيون المجازفون ، فكان الميراث مقدساً كأصل الفكرة . وكل مقدس معبود على كل حال .

ولقد أوسعت هذه الحال مجال النفاق والكذب والترهات . بل فتحت المجال لفجرة آثمين أن يكونوا يوما خلفاء يحملون اسم الملك واسم الله . فابناء غير شرعيين بحكم الدين صريحاً ، وقتلة آثمون منهم من قتل أباه ، ومنهم من قتل أخاه ؛ ومنهم من قتل أعمامه وأخواله ، استطاعوا يوما أن يمثلوا محمداً عليه السلام فوق الارض ، وان يمثلوا الله تعالى فى السماء .

ولم يكن فى هذا النظام من سر سحرى جعل الناس يخضعون له خضوع العمى الذين لا يبصرون ، الا إهالة من القداسة حوطه بها فئة العلماء والأئمة والفقهاء . فانهم بعد ان اقفلوا باب الاجتهاد فى الشريعة ، اقفلوا باب الاجتهاد فى أختيار أصلح أنواع الحكم المساير لطبيعة الحالات . وبذلك تم لهم اخضاع العالم الاسلامى ، ومضى المسلمون يتوارثون هذا النظام جيلا بعد جيل . فلما علا مد الحرية على الشعوب الشرقية ، بان لاهلها أن هذا النظام مهما يكن فيه من روح الاسلام ، فانه غير ملائم لطبيعة الحالات والمقتضيات السياسية والاقتصادية . لهذا الغى بثورة طاحنة ، فكان لخير الشرق والشرقيين الغاؤه .

ولاجرم أن سلطة الفقهاء أخذت تتضاءل من بعد ذلك ، ولن يمضى زمان طويل قبل أن يتقلص ذلك الظل الكالح الذى حال معه لون الشرق وحال بينه وبين الضياء ، لولاه لقاد الشرق العالم الى حضارات جديدة ، والى صور من الرقى لم يألفها العالم حتى الآن .

و بعد . فليس لنا أن نتورط فى البحث لا كثر من هذا . فان العوامل التى أثرت فى عقلية الشرقيين وحالت بينهم وبين الارتقاء معدودة معروفة . ولكن هذا لايحول دون القول بأن الشرق قد خطا بالانسانية من العصر اللاهوتى الى العصر الميتافيزيقى ، وكان لابد دالف بقدمه يوماً الى العصر اليقينى ، لولا تلك العوامل السوداء .

ان هذه الاشياء نماذج عقلية فصلها «كونت» في فلسفته أحسن تفصيل . وهى فوق ذلك نماذج لها تدرجاتها الدقيقة المتعاقبة التى لايمكن أن يبلغ الانسان إليها فجاءة ، بل تدرجاً وبتهيئة ظروف وحالات لا يمكن أن تدرك كيف تنشأ ولا كيف تتكون فى تضاعيف الفكر البشرى .

إن العقلية الاوروبية الحديثة لم تكن نموذج الفكر قبل ثلاثة قرون . والدليل على هذا أن العقلية الاسيوية قد انتحلها الاوروبيون من أهل النصرانية الى عصر كوبرنيكوس وغاليليو . نعم انها لم تؤثر فى الوارثات الاجتماعية ، ولكنها أثرت تأثيرها البالغ فى الفكر الأوروبى . لهذا نترك البحث فى هذه العوامل لرسالة أخرى نعقدها فى مثل العقيلة القديمة فى الشرق والعرب .

حرية الفكر

قد يخيل الى الذين يمعنون فى درس هذا الكتاب ، والوقوف عند مرامية وقفات تأملية طويلة ، أن الشرق قد تحرر فكره بالفعل ، بقيام بعض زعماء يدعون الى الحرية الفكرية ، أو قادة قضوا على بعض التقاليد القديمة التى كانت حائلا بين الشرق وبين الارتقاء .

نعم . لاننكر أن الارتقاء أصبح معبود فئة من رجال الشرق خصوا بارقى المميزات الانسانية ، وأنهم فى ذلك قد جاروا الغرب وانتحلوا عنه أساليبه التى اتخذوها وسيلة للارتقاء . غير أننا لايجب أن ننسى أننا مع هذا قد ورثنا عن الغرب جمود أهل المذاهب ، والظاهر أنه من المستحيل على العقل البشرى فى حالته الحاضرة أن يتخلص من المذهبية على وجه عام .

فاذا كان الاتراك قد حرروا الحكومة ونظام الدولة من الخلافة ، واذا كانوا قد انقذوا الامة من مخالب الفقهاء والائمة ومن المدارس والتكايا والقبور ، وعلى الجملة من المذهبات القديمة ، فانهم لم يخلصوها ليتركوا لها الحرية واسعة مفتحة الابواب

مفهومة على قدر كاف، يجيز للفكر أن يكون حراً فى جولاته المترامية ، بل إنهم خلصوها من مذهبيات قديمة ليلقوا بها فى أحضان مذهبية حديثة هم ممثلوها . مذهبيه القومية بالغة أقصى مبالغ التطرف والبعد عن الاعتدال . وفى سبيل هذه المذهبية أعيد الاستبداد القديم ليدافع عن مذهبية جديدة . فكان القتل والشنق وخنق الحرية باسم الحرية

وكذلك الحال اذا رجعت الى روسيا الشيوعية . فان فى نظامها من المذهبية مافيه ! فضلا عما تستشم فيها من روح الكنلكة الرسيسة فى النفوس والبعد عن مطاوعات الشك واللا أدرية الفائضة بصور المرونة الفكرية

ولن تخلص من المذهبيات لافى السياسة ولافى الدين ولا فى النظام والمبادىء الاجتماعية . فكأن الاستناد الى مذهبية ما ، صفة ملازمة لتطور الجماعات . وهى من النظم التطورية النشوئية ، كلاهما ضرورى لحماية ما يخيل للناس أنه الاصلح والاتم نظاما والافضل بقاء فى حيز الاشياء الانسانية . فان المذهبية والجمود يحولان لدى الحقيقة دون التطورات الفجائية والطفرة فى الانتقال من حال الى حال بمايفسد نظام الاجتماع (١) .

لهذا نقضى بان الشرق قد وثب الوثبة الاولى، ولكنه لم يتحرر بعد تحريرا يمكنه من مسايرة خطوات الحضارة الحديثة ، تلك الخطوات التى تتطلب، على ما اعتقد ، قدرا كبيرا من المران على الحرية واحترام الفكر مهما كان مصدره

***

تلك أحدى صور المذهبية. على ان هنالك صورة أخرى عكفت عليها المدارس القديمة ، ولم تستطع المدارس الحديثة التخلص منها .

لقد عودتنا المدارس القديمة ، تحت تاثير التقاليد ، ان تقبل كل مايقال على انه الحق ، وعلى الاخص اذا صدر من أئمة يعلمون الى صغار يتعلمون . فنشأت الاجيال خاضعة لهذه الضرورة ، ضرورة تقبل مايقال على انه الحق او انه الاصح وأنه الاولى بان يعرف حالة عكفت عليها المدارس القديمة ، ولم تتخلص منها المدارس الحديثة . خضوع

---

(١) راجع مقدمة كتابنا بين الدين والعلم المترجم عن ديكسون وايت وسيظهر خلال الاسبوع

للسلطة سواء أكان مصدرها فقهاء يدرسون شريعة الله ، أو معلمين يلقنون مبادىء العلم . ولم يقتصر الخضوع لهذه السلطة على الافعال ، بل تناول الآراء والافكار والمبادىء ، على قاعدة ان الذين يلقنون الشرائع والعلوم رجال أخلصوا العمل لله من ناحية ، وللعلم من ناحية أخرى . وبذلك قتلت فضيلة الشك النفوس ، فكان الذى يشك أو يسأل أو يحاول أن يفهم مايقال أو يحاول فهم مالا يفهم ، يعتبر مريض النفس والمنازع فيعمل معلموه بكل جهد مستطاع لكى يشفوه من هذا المرض العضال مرض الشك فيما يقال والجدال فيما لا يفهم .

ولا يقف الامر عند هذا الحد : فليس سلطان التقاليد مقصورا على الاب فى البيت وعلى المعلم فى المدرسة ، بل يتعدى الى الرفقاء فى المدارس والمعاهد وكلهم شبوا خاضعين لتقبل مايقال على انه الحق ولا حق سواه ، وبذلك يفشو مرض « التصديق » منقولا عن مجموع الرأى العام فى المدرسة أو المعهد ، الى عقل الشكوكين فيما يلقى عليهم ، وبذلك لا يلبثون أن تتلقفهم العدوى . فيصبحون من أكثر الناس تقبلا للتقاليد على ماتقلت اليهم ، وعلى الصورة التى قذفتها الازمان . وكذلك لا يجب أن نغفل عن أن الافلات من هذا القانون ، له قانونه . ولكنه قانون صارم شديد قلما يتفق لعقول ناشئة أن تتمكن من تنفيذ مواده الخشنة التي تنوء بها أكبر العقول ، بله الناشئة اللينة

وهذه صورة أخرى من صور المذهبية تحول بين الفكر وبين الحرية الصحيحة . ذلك لان هذه المذهبية تقوم على السلطة . وعندى أنه لهذه المذهبية ثلاثة أركان :

الأول : الاعتقاد بان الذى يلقننا انما يلقننا الحق بقدر ما وصل اليه علمه

ثانياً : الاعتقاد بانه أقصى ماوصل اليه علمه هو حد « المعرفة » الصحيحة .

ثالثاً : النزعة إلى العمل بمقتضى مايلقننا ، تحت تأثير الاعتقاد بأن مايلقى الينا به صحيح

وعلى الجملة تنحصر طرق التلقين فى ثلاثة أشياء : فى التصديق أولا ، وفى فهم مايقال ثانياً وفى الطاعة لما يقال ثالثاً

على هذا جرت المدارس القديمة . على أن المدارس الحديثة إن عجزت عن التخلص من هذه المناقص فانها أجازت حرية الفكر ، وأطلقت العنان للخيال الذي هو أساس الوصول إلى الحقائق العلمية والقضايا المنطقية على وجه عام .

***

بجانب هذه الصورة الكريهة ، تقوم سلطة الحكومات تحمى الاساطير وتصوب نارها وحديدها شطر كل من يجرأ على التشكك فيها أو الدعاية إلى ماينا قضها . على أنى لاأعلم فيما يخرج عما يجب أن تنتهى عنده سلطة الحكومات من شيء هو أبعد عن بديهة العقل من حماية الحكومات للاساطير والتقاليد تحت عنوان أن الحكومات وهى شخص معنوى حرف ، ديناً تدين به وتتخذه على نفسها علماً تنعت به ، فيقال حكومة نصرانية وأخرى وثنية وثالثة اسلامية ، ولغير سبب لغير حاجة تدعو إلى ذلك

ليس لهذه الحاجة التى تلجأ اليها الحكومات من سبب تعود اليه الا الوراثة القديمة عن حكومات دينية ، انتقلت باللقاح إلى الحكومات المدنية . وهى فوق ذلك حاجة موهومة لاضرورة لها فى قيام الحكومة ولا فى احتفاظها بسلطانها وقانونها نافذاً فى رعاياها . ومن أغرب الاشياء أن الحكومات قد تلجأ فى بعض الاحيان إلى ضرورة التغيير فى الاسس التى يقوم عليها الدين فتلغى وتثبت ، وتنفى وتضع ، أشياء ليست من الدين الرسمى فى شيء . ومع هذا كله تدعى الحكومات بانها « دينة » وانه لها ديناً رسمياً يحترم ازاء الرعية ولايحترم ازاء سلطانها الشامل كل شيء فى حدود أرضها .

ان هذا العصر الذى فتح للناس أبواب الحرية ، واجاز العمل والتفكير فى حيز القانون الوضعى ، والذى جعل السوق والسمسار فى سوق الاعمال وعلى الجملة كل فرد من الأفراد يتطلع إلى كرسى الوزراء أو رئاسة الجمهورية ، هذا العصر نفسه لم يجز للناس أن يقولوا مافى عقولهم على الوجه الاكمل من الحرية . فان نظرية يدلى بها شخص من الاشخاص كافية لان ترفعه إلى أعلا مراتب الحكم أو تكون قاضية عليه بالتسول فى الازقة والطرقات . وفكرة قد تحمله إلى مصاف القديسين ، أو تلقى به فى غياهب السجون أعواماً يكفر بها عن ذنب الخروج على التقاليد الثابتة الموروثة وراثة ، لا الموضوعة وضعاً أساسه العقل والحقيقة

وهذه الاعتبارات على مافيها من صعوبة التحليل بينة غير غامضة بل هي جلية الغايات واضحة السبل . وما أتينا على ذكرها هنا الا لنظهر على وجه الاختصار مايعانيه الغرب ، وقد أخذنا ندلف بقدمنا فى مفاوزه الواسعة المترامية الاطراف .

العقلية التركية الحديثة

مثال العقلية السليمة

فى تركيا الآن ثلاث مدارس ، تتعاون ولا تتنابذ ، وتتساند ولا تتجادل . ويمثل كل من هذه المدارس مؤلف من كبار المؤلفين و باحث اجتماعى من أئمة الباحثين الذين للشرق أن يفخر بهم ، وان يشيد بذكرهم ، وأن يتخذهم مثالا يحتذي فى حرية الفكر ودقة البحث وسمو النزعة والتخلص من آثار التقاليد التى ظلت حتى الآن مغشية على الفكر الشرقى باغشيتها الثقيلة .

فالمدرسة الاولى تمثلها المؤلف العظيم الاستاذ قابيل آدم . وقد شرح مبادئها فى كتابه الذى سماه كتاب « مصطفى كمال أو كتاب الرجال الذين هم من طابع مصطفى كمال » . وهذه المدرسة تمثل أقصى التحرر من تقاليد الماضى وتضرب على وتر القومية والاصلاح القومى بدون نظر الى الماضى الذى يجب ان تتخلص منه الشعوب الشرقية تخلصاً كاملا ، وتنتحل العقلية الغربية الحرة من كل أثر من آثار العقلية الاسيوية القديمة . وقد ظهر هذا الكتاب فى الاستانة سنة ١٩٢٦ .

اما المدرسة الثانية فيمثلها الاستاذ الأشهر والكاتب القدير جلال نورى بك . وقد شرح مبادئها فى كتابه المسمى « الثورة التركية » — وهو يختلف عن الاستاذ « قابيل آدم » فى أن ذاك يضحى بكل المبادئ الدينية فى سبيل المصالح القومية . فى حين ان نورى بك يرى أن أقوم طريق هو إصلاح الدين الاسلامى اصلاحا يتمشى مع المصالح القومية . وهو مع هذا لا يريد انه يظل مسلماً بالمعنى الاسيوى الذى ورث عن مكة و بغداد ، بل يقول بأنه من الممكن ان يظل المرأ مسلماً اذا أصلح الاسلام اصلاحا تتطلبه مقتضيات العصر

الحديث والحاجات الوطنية . هو يعتقد أن اصلاح الاسلام على التواعد التى شرحها فى كتابه هو الطريق الوحيد لخلاص تركيا والامم الشرقية الاسلامية عامة .

والمدرسة الثالثة يمثلها الاستاذ الكبير رفيق صدقى بك فى كتابه المسمى « الثورة الترلية أزاء الثورات » — وقدظهر فى القسطنطينية سنة ١٩٢٧ . وقد اتبع فى كتابه طريقة المقارنة التاريخية ، فاحاط بتاريخ الثورات التى شهدها العالم في القانون والحياة الاجتماعية والدين وحرية الفكر والمعتقد والسياسة والآداب ، وحاول أن يحدد موقف الثورة التركية ازاء هذه الثورات .

ومن هنا تري أن هذه المدارس الثلاث تناظر على وجه أكمل ثلاث مدارس تقوم عليها العقلية الاوروبية . فالاولى مدرسة التحرير الكامل و العتق التام للعقل الانسانى ، والثانية مدرسة الاصلاح المستمد من ميراث القرون الوسطى ، والثالثة مدرسة الاقيسة التاريخية . وقدنشأت هذه المدارس فى أوروباوتحذرت مرات عديدة على مقتضى تكيف المصدر و مطاليب الزمان والمكان . ولكن مبادئها ظلت ثابتة متأصلة فى تضاعيف العقلية الغربية ففازت أوروبا من طريقها بتأسيس هذه الحضارة التى هى أعجب الحضارات التى شهدها السيار الأرضى .

وليس لنا أن نمضى فى شرح مباديء هذه المدارس الثلاث . بل نرى أن أقوم سبيل هو أن نقتطف من الكتب الثلاثة التى تمثل هذه المدارس العظمى مبادئها الاساسية تاركين للقراء و الباحثين أن يستوغلوا امعاناً فى التفكير فيها ليفوزوا منها بلبها دون القشور

***

على أننا لانكون بعدهذا الاظالمين لانفسنا إذالم نصرح بان العقلية التركية الحديثة التى تقوم على هذه المدارس الفكرية الثلاث ؛ و التى تستأثر اليوم ، على

اختلاف نواحيها بالعقلية الاصلاحية فى تركيا ، هى مثال العقلية السليمة التى لا يمكن للشرق أن يخلص من مصائبه الا بالعكوف عليها والتشبث من حقائقها واتباع موحياتها فى الحياة

(١) مثال المدرسة الاولى

الاستاذ قايل أدم

(١) ان العقلية الاوروبية هى العقلية التى تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا. ونحن انما نتبع وحى هذه العقلية بحكم أننا وجدنا فى هذه الحياة . اما العقلية الاسيوية ، فالعقلية التى تلائم الحياة الآخرة . فاذا انتقلنا إلى الحياة الباقية ، فهنالك نتبع وحى هذه العقلية (ص ٣)

« ان الامم الحيه فى العصر الحاضر تعيش فيما يلى الحدود الغربية من الشرق . بينما يعيش فى الشرق مجموع من الامم لم يعترف لهن بحق الحياة فى عصر من عصور التاريخ . ان الناس فى الشرق وفي الغرب يتفقون فى كل الصفات العضوية ، فلكل منهم رجلان وساعدان . فمن أين أتى ذلك الفرق البين الواقع بين الناس فى الغرب والشرق » (ص ٤)

لاشبهة فى أن الغرب وحده هو الذى يمتع الآن بأسعد حالات الحياة، وفيه أقوى النظم الحكومية ، والحياة فيه أقرب ما يستطاع إلى ما يجب أن تكون عليه الحياة الانسانية . إذن يجب علينا أن ندرس فن الحياة الغربية لنعرف حقيقتها ؛ ؛

لقد أستأنست أمريكا واعترف لها بحق الحياة من طريق العلم الغربى ، وتحضرت اليابان بأن اتبعت وسائل العقلية الغربية . وكذلك ممالك البلقان فانها درست هذا الفن وقبلت مبادئه ، فاستطاعت أن ترفع عن كاهلها نير الاستعباد فلا مرية إذن فى أن هذا الفن جرب واختبر ، فدلت نتيجة التجاريب العديدة على صدق موحياته

لقد ناضل رجال الغرب ضد رجال الدين وصارعهم ، لا لشيء ، إلا ليفوز بتكوين هذه العقلية ، وما زال يصارع ويناضل ، حتى استطاع أن يقيم للحياة فنا جديدا ، هو الآن قبلة الغرب بل ومعبوده الأعلى

لم يكن لمذاهبنا القديمة سوى قاعدة منطقية واحدة ، ولم تتكون فيها سوى عقلية بعينها . وتلك القاعدة ، وهذه العقلية ، لم ينصرفا طوال الأعصر عن شيء واحد . هو أن يرجعا بكل شيء استنتاجاً واستقراء الى الكتب الدينية . هذا بينما كانت العقلية الغربية تنظر فى الحياة بعين انسانية ، وتنظم الحياة على مقتضى ما ترى هذه العين من حقائق الوجود . وإنه لمن أشد الأشياء خطراً أن نبحث الحياة الغربية بعقلية شرقية . لأن من الجائز أن يغوينا هذا النهج ، فنقبل جزء من مجموع الحياة الغربية ، أو اجزاء تكيفها تكييفا خاصا أو نرفض قبول ناحية من نواحيها ، أو نكل تطبيق شيء إلى المستقبل ، ثم نقول إن لدينا من الحياة الغربية اجزاء ونتفاً . وما من شك فى أن هذا النهج كان سبباً فى وقوع أكبر المصائب وأعظم الكوارث التى انتابت الشرق فى الماضى . ولقد عملنا بأقصى الجهد لكى نوفق بين الناحيتين ، فدلت التجارب على أن التوفيق بينهما مستحيل . فان أهل الغرب إنما يعتقدون بأن الناس للناس - (أى انسانيون) بل إن مطامعهم الأولية فى الحياة تنحصر فى أن يعيشوا في هذه الدنيا على أكمل وجه تتطلبه الرجولة الكاملة . اما أهل الشرق فموقنون بأن الناس ملك لله ، ويحاولون دائما أن يحققوا وجود الحياة الأخرى فى هذه الحياة . ولاجرم أن هاتين النظرتين لا يمكن التوفيق بينها (ص ٧) على أننا لم نعترف بهذه الحقائق فى الماضى ولم نواجهها بما تتطلب من الشجاعة الأدبية والاستقلال فى الرأي . ومن هذا كله نجد أنفسنا فى أشد الاحتياج لأن نصطبغ بصبغة العقلية الأوروبية الحديثة . وما من سبب لذلك التنابذ الشديد الذى قام بين فريقي الأمم الشرقية (فريق

الجامدين و فريق المجددين على النمط الغربى) إلا و جود هذه العقلية فى ناحية ، حيث تقوم فى ناحية أخري العقلية الدينية العربية . وهذا أخطر مايتعرض له الشرق من الاحداث

(٢) لم تسلم الامم الاسيوية يوما من الفقر والتعاسة . وليس لهذا من سبب سوى أنها اعتادت ان تستقرىء أحكامها المعاشية كلها من تشريعها الدينى المقدس . ولن تقف على طابع آخر غير هذا اذا ما قلبت تاريخ مصر والهند وفارس واليابان القديمة والصين وطوران وبلادالعرب . فان هذه الامم لجهلها قدنسبت لامرائها وسلاطينها . أولغيرهم من مقدمى الانتهازيين ، صفات قدسية حينا ، أوسلطة ايحائية حيناً آخر

وكان من نتائج هذه العقلية أن تردت الامم الاسيوية فى وهدة التعاسة والشقاء (ص ١٤)

أما المعركة القائمة اليوم فموجهة بكل مافيها من قوة الى القضاء على هذه العقلية الاسيوية . والحالة جلية واضحة فلست تجد فى أوروبا مثقفا أوغير مثقف ، يمضى فى أعماله متوكلا على سلطة الوحى . أما فى آسيا فانك لاتجد شيأ اللهم الا الانبياء والقديسين والحكام الذين يستمدون سلطتهم من الله مباشرة . تجد الاوامر والنواهى القدسية متغلغلة فى تضاعيف العديد الاوفر من الشؤون الخاصة الصرفه للناس ، محتكمة فى كل وجه من أوجه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والادارية . ولديهم ان هذه الاوامر والنواهى هى أوامر الله ونواهيه ، وعلى هذا لايمكن تبديلها أوتكييفها . فاذا تبدل الزمان وتكيف ، وجمدت هذه الاوامر والنواهى مقصرة عن اللحاق بروح العصر نشوء وارتقاء ، فلا تجد من شيء اللهم الا نبياً آخر مراسلا بتعاليم جديدة . ولامرية فى ان تتابع ظهورا لانبياء فى آسيا طابع خاص بها ، ولاتفضلها فيه بقعة أخرى من بقاع الارض (ص ١٦)

على ان أعجب ماترى في كل هذا ، ان كل نبي من هؤلاء الانبياء قد نصح واهاب بهم أن ينكروا حقيقة هذه الحياة بكل ما فيها ، وان يتلظوا حرقة الى الحياة الآخرة . وفى هذا ينحصر كل مايقصد بوذا من النرفانا ، وكل مايقصد الاسلام والنصرانية واليهود من الفردوس (ص ١٧) وهذه العقلية قتلت فى الشرق فكرة النقد . كما غشت على القول والافهام بأغشيتها الثقيلة

بيد ان هؤلاء الانبياء الذين حكموا الدول وساسوا الممالك لم يقنعوا بان يفرضوا على الناس اوامر الدين ونواهيه ، بل صبغوهم باخلاقهم ، ودهنوهم بطلائهم . فان الاسلام مثلا ، قد صبغ المسلمين ، فضلا عن الدين ، بصبغة الحياة العربية الاجتماعية فى كل مكان وآن ، واضطر الناس ان يقبلوا مذعنين ، لا الله والدين وحدهما ، بل حياة العرب العائلية والاجتماعية والخلق العربى والعادات العربية بصورة كلية ، واللغة العربية بصورة جزئية . كذلك لم يفرقوا بين الدين والقومية . فان الدين والقومية ظلا فى الشرق شيأ واحدا طوال الازمان . ولهذا لا نقع فى الشرق على حركة اجتماعية صبغت بالروح القومية على اطلاق القول (ص ١٨)

لقد لعن بوذا هذه الحياة . وكذلك مذاهبنا القديمة . فانها لم تعمل إلا تمهد الطريق للحياة الاخرى . ولقد أخذت أمم آسيا كلها بموحيات هذه التعاليم النظرية . وعلى هذه الطريقة قيد « اللاما » أمة الصين « والبراهمة » أمم الهند ، «والآخوند» أمة الفرس ، وأئمة الاسلام العالم الاسلامى . اما العقلية التى اختفت وراء هذة التعاليم فتتكون فى الاعتقاد بما يأتى : —

(١) ان الحقيقه لا يمكن معرفتها بالعقل بل بالتقاليد

(٢) ان الحياة لا يجب ان تحكم بمقتضى المبادىء الانسانية المستمدة من غرائز الانسان ، بل بمقتضى الشرائع المنزلة التى لا تتبدل ولا تتغير

(٣) هذه الحياة فانية ، والاخرى باقية

(٤) نسبة كل شيء الى القضاء والقدر

(٥) رفض الاعتقاد بضرورة الحياة القومية ، والعكوف على الخضوع للتقاليد الدينية .

(٦) الخضوع الكامل للرئيس الروحى .

وهذه القيود الحديدية والاصفاد الثقيلة لم تترك للأمم الاسيوية من فرصة للخلاص . ولقد كانت هذه العقلية بمثابة تجربة حاول واضعوها ان يعرفوا إن كانت بذاتها وسيلة ناجعة للقضاء على الحياة وعلى الانسانية . ولا مرية فى انها قطعت كل علاقة كائنة بين الناس والحياة الدنيا (ص ١٩)

ولما كانت علاقة الانسان بهذه الحياة متينة ، وأواصره بها لاتفصم ، لم يكن هناك من سبيل لكى تعيش هذه العقلية وتحياه إلا بان يقتل العقل الانسانى ويلغى من هذا الوجود . ولولا هذا لظهر سريعاً ان الشرائع المنزلة لاتتفق وحقائق هذه الحياة . لهذا لم يتوان مشيدو العقلية الاسيوية وواضعو قواعدها ، عن أن يجعلوا أساسها الاعتقاد بان الحق فى هذه الحياة تقليدي لاعقلى . ولكن نتساءل ماهى التقاليد ؟ ولماذا لايكون لدينا من الحرية مانستطيع به ان ننظر في هذه التقاليد نظرة تحليل نحكم فيها العقل ؟ تلك التقاليد التى لم تسم بنا يوما الى أفق السعادة والحرية والثروة ومعرفة حقيقة الانسانية ، بل كثيراما عضدت أسباب التعاسة والشقاء وقوت جذور شجرة الاستبداد التى تمتع بثمراتها الرئيس الروحى خلال كل الازمان . وبما ان هذه التقاليد لم توضع إلا لتطبق على الانسان عمليا ، فان العقل الانسانى يحس ضرورة بانه مقسور على أن يبحث فى أصلها ونشأتها وماهيتها ، ليعرف ان كانت التقاليد سموما قاتلة ، أم انها عقاقير لقهان السحرية» (ص ١٩)

ان من أبلغ السفسطة ان تقول بان العقل الانسانى لايستطيع أن يدرك الحقيقة . إن كل الذين أوصلوا الينا هذه التقاليد وبثوها في نفوسنا ، قد اتخذوا

العقل الانسانى وسيلة لبثها . وماهذه التقاليد لدى الواقع الا مجموعة من السخف لايمكن أن تقاوم قوة النقد ساعة واحدة »

« لم يكن فى مستطاع أحد من ناقلى هذه التقاليد (الانبياء) أن يوحى الينا برسالة تساعدنا على اختراع آلة من الآلات أواستكشاف الكهربائية أوالبواخر أوالطيارات أوالتليفون اللاسلكى أو مبادىء الطب التى تساعدنا على مقاومة داء السرطان أوالسل أوغيرهما من الامراض . ولقد ثبت فى روعنا اليوم أن مايجب أن يوحى الينا به من العالم المجهول إنما ينحصر فى مثل هذه العلوم لخير الانسان والانسانية »

« إذا قلبت تاريخ آسيا برمته منذ أبعد العصور الى اليوم لما استطعت أن تلتقي فى سفرك الطويل بقديس واحد من أولئك القديسين الذين اتخذوا العلم للقداسة طريقاً . في حين أن تاريخ الدنيا يفيض بذكر الكثيرين ممن هم من هذا الطابع الخالد . أولئك الذين استكشفوا الحق وعرفوا الحقيقة . أولئك الذين آمنوا بأن الحق عقلى لاتقليدى ، لاالذين ظلوا طوال الاعصر ينتظرون الوصول الى الحق من طريق التقليد . ولاشبهة فى أن رجال آسيا ، وهذه عقليتهم ؛ لايستطيعون أن يدركوا من الحقيقة شيئاً » (ص ٢٠)

« نتساءل لماذا لم يكن فى مقدور المذاهب الاسلامية أن تنقذ الامبراطوريات الاسلامية التى سقطت على التوالى وأخصها الامبراطورية التركية مثلا؟ والجواب أن ليس لهذا من سبب إلا أن عقليتها قد عكفت على الاعتقاد بان الحق تقليدي صرف . أما العلم اليقينى الحديث فيعتبر أن هذه العقلية سم قاتل . لانها بعد أن تحتكم فى الفرد وتستقل بوجدانه وتبعده عن التفكير فى أمر نفسه ؛ يكون فى مستطاعها أن تجعله يعتقد بصحة أية من الاحكام الدينية فيما يتعلق بحياة الاسرة أو نظام الحكومة . وهذه العقلية هى السبب المباشر فيما ترى من سوء النظام والعادات القبيحة كتعدد الزوجات فى الحياة العائلية ؛ وانقسام الناس

الى أحزاب وطوائف فى النظام الاجتماعى فى الشرق كله » (ص ٢٢)

« أنظر فى نظام الحكومات أو تاريخ الشعوب التى مضت عاكفة على هذه العقلية . فماذا ترى ؟ ملك مستبد بعيد عن التقيد بما توجبه الشرائع الادية ؛ منعوت دائما بانه ظل الله فوق الأرض ؛ وقصر منيف الظاهر مشمخر البناء ، وماهو فى الحقيقة إلا دار بغاء رسمى تملأ جوانبه السراري والجوارى . بل أنهم عبارة عن مجموع من أبناء البشر تعساء بعيدين عن حقيقة الحياة » (ص ٢٥)

« ان أهل الكلام من المسلمين لم يعنوا بتحرير الضمائر والافكار ، كما أن التشريع الاسلامى لم يحب أهل الاسلام بحق الحياة و العمل . بيد أن كل الامم الاسيوية قد حكمت بنظامات و تعاليم دينية ، وكل القوانين التى فرضت على هذه الامم ، قد استمدت من هذا النبع و حده . ولما كانت هذه القوانين بمقتضى ذلك غير متغيرة و لا متحولة ، قد قاومت فى كل عصور التاريخ جولة هذه الامم نحو النشوء والارتقاء ، كلما حاولت أن تخطو نحوه . إن أهل الكلام قد أعاقوا العقل عن النماء و التطور ، كما أعاقت النظم التشريعية تطور الشعور الاجتماعى ، فنتج عن ذلك ان أصبح من أقصى المستحيلات أن يقع في آسيا انقلاب ثورى ؛ لا فى الصورة العقليه ، و لا فى النظام الاجتماعى » (ص ٢٦)

« تحت تأثير هذه العقلية قيدت الارادة . فقتلت حيناً ، وأعطيت من الحرية قدراً ضئيلا حيناً آخر . فى حين ان الارادة الآلهية ظلت طوال الاعصر القوة الحاكمة بأمرها ، و ردت الارادات والاسباب جماعها الى القضاء و القدر الذى تصرفه القوة القدسية الغيبية . و هذا هو السبب فيما يدعى « بالبطالة الشرقية » تلك الصفة التي يناظرها ما نسميه « الحضارة الاوروبية » ،،

« ان كل ماحاول الغرب أن يصل اليه من طريق الاكباب على درس العلوم اليقينية ، حاولت الامم الاسوية أن تبلغ اليه من طريق الاناشيد و الصلوات و السحر و الارواح ،، (ص ٢٧)

« جب نواحي آسيا وافتح باب أي قصر من قصورها الفخمة الضخمة ؛ فانك لاتجد الاقطيعاً من رجال ونساء اتخذوا الزنا حرفة فى الحياة . وهذه هى بعينها حال الخليفة والامام والمشايخ . انهؤلاء الرؤساء الذين أمروا الناس بان يصوموا وان يتعبدوا ابتغاء وجه الله ، وفى الوقت ذاته صرفوا الناس عن كثير من خيرات هذه الحياة ؛ لم يكن لهم فى حياتهم الداخلية من بغية اللهم الا الحصول على اللذات البدنية من أية طريق وبأية وسيلة . وهذا التناقض الواقع بين مايأتون من فعل ؛ وما يتفوهون به من كلمات ، قد دل على خبثهم وخيانتهم وفتكهم بعقول الناس ، وكان فى الوقت ذاته سبباً فى أن تحتكم النزعات السفلية من خيانة وفجور فى إدارة الحكومات . ولهذا تجد أن هذه قد مضت مستبدة بأمرها فى كل طبقة من طبقات السلك الحكومى ، حتى لقد اعتبرت الخيانة ، كما اعتبر الغش والخداع ، من الامور المشروعة ؛ تأييداً للمآرب الذاتية وخدمة المصالح الافراد (ص ٢٨)

لم تكن الديانات في تاريخ آسيا كله الا حركات رجعية املتها الغيرة التى تزود بها كل رسول جديد ضد الرسل الأقدمين . ان ديانات آسيا كافة واحدة فى جوهرها . فان تعاليم كونفوشيوس وبراهما وموسى وعيسى ومحمد كلها واحدة . فان اختلفت فانها انما تختلف فى التفاصيل لا فى القواعد (ص ٣٠)

هذا هو الحق الذي نقع عليه كلما قلبنا تاريخ الأمم الاسيوية. لقد خضعت آسيا لهذه العقلية ، ولم يكن لديها من القوه الذاتية ما تستطيع به أن ترمى عن كاهلها ثقل هذه التقاليد . اذن فلا سبيل إلى الخلاص الا بلقاح يستخلص من العقلية الأوروبية . وهذا هو السر فيما نرى من تقدم اليابان المدهش خلال الخمسين عاماً الفارطة ، إذا قسنا تقدمها بتقدم الصين مثلا . ان الصين لاتزال إلى اليوم واقعة تحت تأثير الذهنية الاسيوية . أما اليابان فقد نفضت

عن كاهلها هذه الذهنية، واستعاضت عنها بالذهنية الاوروبية اجمالا وتفصيلا. ولقد يظن البعض أنه من المستطاع أن تحوز الامم هذا التفوق الكبير من طريق الاستعانة بالعلوم العملية وحدها. غير أن هذا مستحيل. لأن المسألة مسألة عقلية تتناول كل بناء الفكر والعواطف والمشاعر والحياة، تنكشف وتتراكز خلال الاجيال. إن «العقلية» كل لا يمكن تجزئته إلى أقساط ونتف. وعلى هذا وجب أن تلغى العقلية الاسيوية كلية، لتحل محلها العقلية الاوروبية فى مجموعها. ولن نجد للخلاص طريقا آخر» (ص ٣١-٣٢)

(٣) الاتراك أمة أسيوية. ولذا كان من الطبيعى أن يعيش الشعب التركى وأن يعمل متأثرا بوحى العقلية الاسيوية وانما ينحصر غرضنا الآن فى أن نبحث حياتنا وتاريخنا لنرى كيف زودتنا الثورة الاخيرة بحياة جديدة، وأن نفهم طبيعة تلك الواجبات والالتزامات التى فرضتها علينا عقلية الثورة، ولنحكم على مقدار ما هو مطلوب منا من تضحيات، حتى نستطيع أن نغرس هذه العقلية فى نفسية الشعب بشكل قاطع» (ص ٣٣)

«لقد عودنا على أن نلقن باننا عبيد الملك، ظل الله فوق الارض، واننا له ملك ومتاع. وهذا يتضمن بالضرورة الاعتقاد بانه ليس لدينا من شىء يمكن أن يقاوم قوة خليفة الله الواحد القهار؛ المتربع فوق عرش الارض، وانه لن يكون من نظام اجتماعى أثبت أصولا من اجتماعنا، ولا حياة دنيوية أسعد ولا أمتع من حياتنا. بينما كانت الحقائق الملموسة توحى لنا كل حين بأن فى انحاء مملكتنا فقر وجوع. وان جزء بعد جزء من أطراف الامبراطورية كان يؤخذ عنوة ورغماً منا نهباً واغتصاباً»

«وكانت لنا حكومة هى أضعف من أحط الحكومات الاوربية، متردية فى حمأة الرشوة، مفككة الاوصال مضطربة الاحوال، بعيدة عن حكم الشرائع والآداب. وكنا نستجدى الغرب فى كل شىء نحتاج اليه. ومع كل

هذا فقد كان لدينا « ظل الله فوق الارض » وأربعون زوجة من زوجاته ، وأربعون غلاما ممن تعرف ولا أذكر، لاشغل له إلا أن يحمل الشعب على أن يتجرع فكرة الجنة و نعائمها على ماوضعها رجال المذاهب القديمة ، كان قد أصابنا الانحلال فى الداخل و لم يكن لدينا من سبيل لكى نفهم الحق وأن نعرف الحقيقة ، إلا بأن نتصل من طريق ما بالمعرفة الاوربية ، وأن نعترف بتفوق العقلية الغربية ، وأن نكب على درس الاسباب التى غرست الشقاء والتعاسة فى أرض من كنا نعتقد أنه «ظل الله فوق الارض» . ولما فعلنا ، بان لنا أن « ظل الله فوق الارض » لم يكن شيئا ، اللهم إلا صنما مفقود القوة والروح ، كأى صنم من أصنام بوذا فى الهند. وكان لنا بمحمد أسوة . فكما أنه حطم أصنام مكة والمدينة ، كذلك نحن حطمنا اصنام الخلفاء والمذاهب القديمة والتكايا والقبور . هذا هو معنى الثورة . أما منافعها فسوف تكون عظيمة لخير الامة وسعادتها فى المستقبل » (ص ٣٤)

« إن الامبراطورية التركية القديمة كانت دولة دينية . لقد تبدلت هذه الامبراطورية من نظام التكية السلجوقى القديم بنظام المذاهب ، واخضعت الناس قسراً للمنطق التحكمى الذى اختص به كل من ندعوه « حجة الاسلام »

« ومع كل ذلك ؛ فان هذه « الدروشة » وان شئت فادعها « الباطنية » ، كانت السبب الأقوى الذى نجى الامتين ، التركية والفارسية ، من ان تستعربا بشكل حاسم . وفى هذا المجال وحده بدأ النضال بين الاسلام والقومية . أما القومية فقد تفوقت وانتصرت في النهاية » (ص٣٩)

« بعد هذا بدأ عصر الملوك العثمانيين . وفى هذا العصر تفوقت المذاهب العربية القديمة وأساليبها كل تفوق ، حتى لقد اتبعت أساليب المذاهب البغدادية في الاجمال والتفصيل . وهنا ثبت ما ندعوه « الشريعة » التى استمدت كل أحكامها من الاوامر والنواهى المقدسية المنزلة . فكان لزام أن لا تعترف هذه المذاهب بان تغير الازمان موجب لتغيير الاحكام . لقد نظرت هذه المذاهب

إلى القسطنطينية كما نظرت لبغداد ، ولم تفكر ساعة واحدة في أن تدرس البيئة التى تحيط بهذه العاصمة وان تتعرف طبيعتها وان تكيف مبادئها بما يلائم هذه البيئة ؛ لقد مضت المذاهب تزود الناس بعقاقير استمدتها من مصادر كانت في مكة قبل بغداد ؛ وكانت من قبل أن تكون فى مكة بين أعراب البادية . فهل يمكن أن يكون مستطاعاً أن تحتمى الشعوب بمثل هذه الشريعة التى لم تدل يوما على أنها ملائمة لتطور الحالة الاجتماعية التى يقتضيها نماء العقل البشرى ؟ انه يتعذر أن نناقش هذه الحقيقة . ليس من الممكن أن تتطور قوة ما من القوي وتمضى مرتقية ، وهى فى الوقت ذاته بعيدة عن التأثر بمباديء التطور وماهيته . أن مثل هذه القوة لاتنتج من شيء ، اللهم إلا التراجع والاندثار » (ص ٤٩)

« ان المبادىء التى استمدت من مكة ومن رمال البادية هى التى اعاقت تركيا عن التقدم ستة قرون طوال . لقد حكمت هذه المبادىء الشعب التركى عقليا ومدنيا واجتماعيا وسياسيا واداريا ومدنيا. وعلى الجملة احتكمت في كل مظاهر حياته. ولقد استنفدت المدارس كل موارد تركيا المالية. ولكن ماذا كانت طبيعة الاشياء بتدرس بين جدرانها ؟ لم يدرس فيها حرف واحد من اللغة التركية . بل كانت العربية هى الاساس ، واكب الناس على درس مقاطيع من القرآن وتفسيرات فيه قد أربت على المئات والالوف من الصفحات التى كتبها واضعوها وحكموا فيها منازعهم وشهواتهم تحكيما . وكذلك درسوا الحديث . تلك الاحاديث التى وضعها وانتحلها رجال من مختلف الامم، وفى مختلف الازمان » (ص٤٩)

«بيد ان هذه الاساليب التعليمية لم يكن لها من صلة بالشعب التركى ، ولا بلغته ولا بثقافته . بل لم يكن لها من صلة بالحياة ذاتها . وليس فى تاريخنا من شيء هو أدعى الى الخجل من ان تفرض السراي ـ الباب العالى ـ على الشعب التركى اسلوبا تعليميا عربيا فى قوامه ومبناه. ومن الغريب اننا خضعنا لهذا النظام خضوع العبيد والاماء ستة قرون طوال » (ص٥٢)

لقد وضعت المذاهب علما قدسيا بنته على تفسيرات خاصة فسرت بها الاحاديث وآيات القرآن . اما رجالها فقد اعلنوا الحرب والنضال على كل من حاول أن يخرج عن هذه الدائرة . وبهذا سد باب العلم وحظر على الناس ولوجه » (ص٥٥)

« لقد مضت المذاهب حاكمة بأمرها فى السراى وفى التكايا . ولم يكن على المتربع فى السراى ؛ خليفة العالم « وظل الله فوق الأرض » من واجب إلا أن يحمى بصولته طريقة تطبيق تلك التعصبية الدينية التى تأصلت فى بغداد تطبيقا عمليا . وكان من اثر هذا ان الغيت حرية الضمائر وقتلت طريقة النقد العقلى . وبكثير من الخطأ فى التفسير والتلاعب به ، فصلت المرأة عن الحياة الاجتماعية وابيح تعدد الزوجات ، فلم يصبح للمرأة فى عالم الاجتماع من مكان تشغله » (ص٦٢)

كذلك فرضت المدارس على الناس أحكاما شاذة لتقوى بذلك دعائمها وتثبت مركزها . فقد قالت انه لفجور ان تكلم امرأة احدا من غير أهلها . بل قضت بان ظهور شعرة واحدة من شعرها ليراها اجنبى ، سبب كاف للطلاق . فى حين انها لم تذكر ان الخلفاء الذين ولدوا بغير عقد شرعى ، هم بذاتهم نبت لغرس غير مشروع (ص٦٤)

***

(٤) طالما خيل الينا ان المسألة الشرقية التى قامت فى دوائر أوروبا السياسية من أكبر المخاطر التى تعرضنا اليها . ولقد جر الخوف من هذه المسألة الى جهود كثيرة بذلت فى سبيل الاصلاح . على ان ضروب هذا الاصلاح لم يكن فيها من روح الانقلاب أو التجديد شىء ما . بل كانت مجرد وسائل سياسية تذرع بها الحاكمون لانقاذ الدولة . على ان جزءا كبيرا من هذه الاصلاحات بذاتها كانت من عمل الاوروبيين لا من عملنا» (ص٧٢)

وفى الحق ان هذه الحركات الاصلاحية لايمكن ان تعتبر حركات تجديد لانها لم تصدر من الشعب . مصدر كل اصلاح وتجديد (ص٧٣) واذا كان قدماء الكتاب والمؤلفين لم يخرجوا عن حد النقل عن منتجات الشرق ، فان كتاب عهد الاصلاح ، كما يسمونه ، لم يتعدوا حد النقل عن منتجات الغرب . فلم يكن فى كلا العصرين نزعة الى التجديد او الابتكار (ص٧٤) والدليل على ذلك أن المصلحين لم يحاول احد منهم ان يلمس بنقد أوتقرير حقيقة الحياة العائلية فى تركيا (ص٨٠) لقد نقل هؤلاء مبادىء الثورة الفرنسوية نقلا حرفياً بلا تحوير أو تبديل . على ان الثورة الفرنسوية لم تتناول نظام الاسرة فى أوروبا بأى حدث . ذلك لان حياة الاسرة الاوروبية كانت قد وضعت مرساتها على نظام ثابت لايقبل التغيير » (ص٨٠)

لقد كانت المسيحية ديانة أسيوية ، كما كان الاسلام . غير انها لم تستقو فى عصر من العصور على شعب من الشعوب الاوروبية التى اعتنقتها فغيرت مزاجه الاجتماعى . لقد انتقلت المسيحية الى روما فى صورة فكرة ، ولكنها لم تنقل معها النظام الاجتماعى الذى خصت به البيئة اليهودية فى الشرق . بل على الضد من ذلك ، فان المسيحية قد تطورت وفقدت جزء عظيما من ماهيتها الاصلية ، بما أثرت فيها البيئة الاجتماعية الرومانية ، مثال الحياة الاوروبية فى ذلك العصر . فلو ان المسيحية كانت قد زحفت على أوروبا من أورشليم بجيوشها وجحافلها كما زحف الاسلام على الغرب ، وأخضعت أوروبا لسلطانها وسطوتها ؛ اذن لألغيت الحياة العائلية في أوروبا ، ولحلت محلها شرائع الاعراب من أهل البادية ، ولتبدلت أوروبا من حياتها الاولى حياة أخرى . بل ولا نغالى اذا قلنا بأن أوروبا الحديثه لم تكن لتوجد على ما هى عليه اليوم . على أية حال نقول بان تاريخ أوروبا قد ذهب فى متجه وحده ، وبذلك أنقذت الحياة العائلية ونجت من تخريب التقاليد خلال كل العصور (ص ٨١)

اما نحن فلم يكن لدينا شيء من روح هذا النظام العائلى . ذلك النظام الذى ولد فى الامم الاخرى روح القومية (ص ٨٢) ولقد حاول المصلحون عبثاً ان يوفقوا بين الناحيتين . فانهم من طريق المدارس القديمة العتيقة قبضوا على زمام التعليم فى المعاهد ، ومن طريق المحاكم الشرعية الدينية أخضعوا نظام الحقوق المدنى . وباتباع ما أوحت به السياسة الاسلامية الصرفة ، استطاعوا أن يلغوا العقلية التركية إلغاءا كاملا (ص ٨٣)

« لم يكن ذلك الجهد السياسى بشيء الا جهد القانط اليائس يحاول انقاذ دولة عملت فيها أيدي الفساد . انه لم يكن تجديد ولا اصلاح بالمعنى الصحيح (ص٨٦) لقد صم آذاننا اعلان الحكومة النيابية مرتين . ولم يكن لدي الذين أعلنوها من غرض اللهم الا أن يخضعوا الطوائف العثمانية المكونة من شعوب وعناصر متباينة ، لقوة الخلافة أو السلطنة مجتمعة . فلم يفكر المصلحون يوماً ما فى أن يضعوا حداً حاسماً لتفوق السلطة الدينية ، فيحيوا بذلك الشعور القومى فى قلوب الاتراك » (ص٩١)

« يقوم القانون فى فرنسا على فكرة الحق . وفى المانيا على فكرة القوة . وفي انجلترا على فكرة المنفعة (ص٩٢) أما فكرة الحق ففكرة انسانية صرفة وليست بفكرة قومية . على اننا نعيش اليوم فى جو مشبع بفكرة القومية ولا شيء غيرها. ولهذا كان من الواجب بدلا من أن تتبع فرنسا أن تحذو حذو ألمانيا أو انجلترا . ان القومية الغت الفكرة العثمانية ، وردت فلسفة الذاتية Subjectivism الى حيث أصبحت بلا فائدة أو نتيجة ، بل محت فكرة الفردية فى الاقتصاد ، واضحت معها الشرائع المنزلة بلا معنى يلائم الحالة الراهنة. ومع تفوق الروح القومية اصبحت الآداب الدينية لدى الواقع بعيدة عن حكم الآداب المدنية . لهذا وجب أن نلغى الحياة العربية الغاء تاماً ؛ وان نتنكب طريق السياسة الاسلامية تنكباً ، ونتحرز منها تحرزاً (ص١٠٧)

« كان للموفقين ثلاثة أغراض تنحصر في أن نتمسلم و نستجدد و نستترك. وكان هذا فى حيز المستحيل عملياً ، فان الاخطار التى انتابتنا من جراء القوانين التى استمددناها من الاسلام كانت جلية ظاهرة . و استخدام القوانين التركية التى ذاعت قبل الاسلام كانت موضع الشك . لهذا لم يصبح أمامنا الا العمل للتجديد . و لم يكن للتجديد من وسيلة الا ثورة طاحنة (ص١٠٩) و لا سبيل للمستقبل الا هذه السبيل . »

« ✡ »

(٥) « ما هى الاسباب الاولية التى أحدثت تلك الفروق الكائنة بين العقلية الأسيوية و العقلية الاوروبية ؟ سأحاول أن أعرف السبب من طريق تاريخى »

« يجب علينا أن نعى بداءة ذى بدء أنه لم يقم في أوروبا من نبى مثل وذا اوكونفوشيوس او موسى او عيسى أو محمد . ممن حملوا الى الناس أوامر ونواهى إلهية ، ثم ألزموهم الخضوع لها قسرا وجبرا » . (ص ١٢٣)

« تصادفنا فى البدء حضارة رومانية قامت تعقيبا على الحضارة اليونانية التي حازت أرقى ما وصل اليه العقل البشرى من الرقى والذكاء فى التاريخ . على أن الحضارة اليونانية كانت حضارة انسانية النزعة فى مجملها و فى تفاصيلها . ولقد بحث العقل اليونانى الحياة ووضع من طريق هذا البحث نظاما للحقوق الانسانية يوافق ما تقتضى هذه الحياة من حاجات . وكذلك الفلسفة اليونانية فانها فلسفة صرفت كل همها لخير الانسانية . ولكنها لم تأت من طريق التنزيل والوحى على أنبياء ورسل ، كما هى الحال فى الشرق . بل انك لا تعثر بلاد اليونان على فيلسوف انتحل لنفسه صفة النبوة ، أو ألقى على كاهله عبء الرسالة » (ص١٢٤)

« لقد ورثت روما البربرية هذا التراث عن اليونان . وعلى الرغم من أن

اليونان كأمة قد انحلت و زالت ، فان الفلسفة اليونانية ظلت الحاكمة بأمرها في العالم الرومانى و الحضارة الرومانية (ص١٢٥) غير أن أنانية روما الاستعمارية قد هزت قواعد روما و خلخلتها . و في ذلك العهد أمكن لحوارى من حواريي المسيح أن يملك منها الزمام ؛ وأن يقبض على اعنتها ؛؛ (ص١٢٥)

« حقيقة أنه هبط روما وفي يده كتاب، وكان يحمل فضلا عن ذلك نزعات المنطق الديني الاسيوى ليشق به لنفسه طريقاً ؛ و لكنه لم ينته الا بأن بث فكرة مجردة لاغير . ذلك لان الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وكل نظاماتها . والدليل على هذا أنها ليست فكرة الحق المسيحية هي التى تسلطت على أوروبا، بل فكرة الحق الرومانية . وكذلك عاش نظام الاسرة الرومانى و أينع وآتى أكله . في حين أنه لم يقو نظام واحد من نظامات آسيا الاجتماعية أن يلج لروما باباً . وكذلك لم تعرف هناك عادات المسيح. بل انه لم يتغير في روما من شيء الا اسم الآله الذى كانوا يعبدون . وهذا الدين على هذه الصورة هو الذى ذاع وانتشر في أنحاء الامبراطورية الرومانية (ص ١٢٦)

« على هذا النمط ملكت ثانية الديانات المنزلة زمام أوروبا . إنها ديانة قامت كغيرها على الاوامر والنواهى الآلهية . وكانت من الناحية المنطقية على ابعد مايتصور من الابهام والغموض والتعقيد . فكان هذا سبباً في أن تتسع لكثير من ضروب التفسير الاختيارى الذي لا يتقيد فيه مفسر بنص ولا قاعدة. غير أنه على الرغم من كل هذا انقذت الحضارة الرومانية أوروبا . فان كل أمة من الامم التى اعتنقت النصرانية لم تتخل لحظة واحدة عن عقيدتها الاصلية ازاء الحق الانسانى ؛ ولم تبعد قيد أنملة عن نظاماتها العائلية وغيرها من ظواهر الحياة كما ورثت عن الحضارة الرومانية . لهذا قام نضال و كان صراع بين العقليه المسيحية المقدسة ، و بين العقليه اليونانية الرومانية ، دار حول نظام البابوية »(ص١٢٦)

« لقد نهجت المسيحية نهج كل الديانات الاخري. لقد علمها زعماؤها على أنها

تقاليد لاتنقض. وبذلك وقف تيار العلم الارتقائى، وحصر التعليم بين جدران المدارس المسيحية. غير أنه بجانب هذا قامت الحياة الاجتماعية ونظاماتها غير ممسوسة بشىء من هذه الروح. والحقيقة أنه لم يكن للمسيحية من نظامات ومعاهد تتغلب بها على النظامات والمعاهد التى كانت فى أوروبا من قبل. وهذا هو السبب فى أن أوروبا قد استطاعت أن تنجو بنفسها عن أن تصطبغ بالصبغة الاسيوية. فاذا كانت المسيحية قد نقلت معها الى أوروبا شرائع كشرائع تعدد الزوجات أو الحجاب أو منطق يوحى بالقضاء والقدر أو امر منزلة تقضى على حس الجمال وحب الطبيعة والحياة، اذن لقضى على أمم أوروبا «بالدروشة» كما قضى على بلاد فارس والهند وجزيرة العرب. وما كان يغنى عنهم أنهم أوروبيين. فان مسلمى البوسنه ومسيحييها لابلغ مثال نضربه لنؤيد به مانقول. ومادام مسلمو البوسنه فى هذا العصر قد انتحلوا حياة العرب الاجتماعية، وهم بعد فى قلب أوروبا، فما الذى كان ينجى أوروبا من مثل ذلك»؟ (ص ١٢٧)

«ثم جاء عصر التجديد، وتبعه لوثر. ان المزاج الالمانى لم توافقه مراسيم روما وطقوسها فبدأ عهد الاصلاح وشق له لوثر الطريق. قيل بان كلمات الله لايمكن أن تحتكرها اللاتينية. وان كل اللغات يصح أن تكون لله. وكذلك الطقوس الدينية يجب أن تتبع أحكام العقل. فالغى لوثر كل الطقوس التى لاتتفق ومطالب الحياة، أو لاتتجانس والعقل أو الذوق السليم. اذ كيف يتسنى لامم متحضرة على النمط الحديث أن تلزم طقوساً ومراسم بشر بها بداءة ذى بدء لشعوب عراة حفاة دأبهم البطالة والكسل، وأخص صفاتهم الجهل. شعوب عاشت بلانظامات تشريعية أوحكومات. لقد فهم لوثر هذه الحقيقة. ولذا سلك أقوم سبيل (ص١٢٧)

«ليس الاصلاح الدينى، الذى قام به لوثر، الاجزءا من التاثير الرومانى العظيم الذى برز الى الوجود من خلال الحضارة اليونانية. وعلى هذه القاعدة عينها

قامت الثورة الفرنسوية . فان كل زعماء الثورة فى فرنسا كانوا جميعاً من المؤمنين بما أوحى به فلاسفة اليونان لعالم البشرية . فكتاباتهم ملآى بكلمات تفوه بها فلاسفة اليونان ؛ وحياتهم مثل لمبادىء وضعوها . انك لاتقع فيما كتبوا على استشهاد اقتطع من كتاب منزل . لانهم لم يجدوا لا فى الاناجيل ولا فى التوراة ولا في كتاب زرادشت ، حقائق كالتى وقعوا عليها فى مؤلفات اليونان . لقد كمن هذا الحق الثابت فى تضاعيف الفطرة الانسانية . والثورة الفرنسوية انما استكشفت هذا الحق وعكفت عليه (ص ١٢٩)

« لقد استكشفت ان الحق عقلى لاتقليدي . وان العلم يمكن استنباطه واستقراؤه من أعمال الناس وحاجات الجماعة وكنوز الطبيعة . وان ليس للملوك ولا للبابوات من حق في الادعاء بان لهم من قدرة على فهم الحق والعصمة من الخطأ أكثر مما لكل الناس . لقد نزعت الثورة عن الدين سلطة الدنيا وتركته فى حيزه الطبيعى . فى صدر الجماعات ومشاعرها » (ص ١٣٠)

« وما كان لشىء أن ينتج عن هذا الا القومية . لقد كانت الثورة الفرنسوية لكل الانسانية ، ولكنها انتهت بالقومية . وفيها تعثر اذا ما بحثت على الاسس التى قامت عليها العقلية القومية فى أوروبا (ص ١٣٢) هذه هى العقلية الاوروبية . ولن تجد لها من مثيل فى آسيا . على أننا قادرون على انتحالها . فاننا بشر مثلهم . والواجب علينا أن ننتحل هذه العقلية كما هى جملة وبلا تجزئة » (ص ١٣٣)

ولكن كيف يتيسر لنا ذلك ؟ يتيسر لنا بأن نسلك الطرق الثورية الانقلابية . ان الحاجة تدعونا لا أن نلغى العقلية الاسيوية وأن نحل محلها العقلية الاوروبية . اننا نواجهنا الآن مصاعب ومشكلات كتلك التى قامت فى وجه الثورة الفرنسوية . لهذا وجب علينا أن نستخدم الوسائل الثورية . وليس فى الدنيا من ثورة حبت أعداءها بنعمة الحرية . إنما الحرية الشخصية تكون بيقين حقا للجميع بعد أن تضع الثورة أوزارها وثبت أصولها . لهذا لانستطيع أن نترك

بزرة الحركات الرجعية تنمو حبتها فى العصر الحاضر . والافان الثورة لن تنجح « ص ١٣٥ »

ان الحضارة الاوروبية تقوم على ثلاث أسس عظمى : الاول — حقوق الانسان - والثانى - الثقافة القومية - والثالث - الاقتصاد والمالية القومية - ولنبحث كلامن هذه الاسس على حدة :

أولا - حقوق الانسان: تنحصر فى أن كل شخص تابع لرعوية الحكومة يولد ويعيش حراً . وهذاهو المبدأ الجوهرى الذى تقوم عليه كل جماعة متحضرة وهذه الحرية تطبق على كل المعاهد التي يقوم عليها النظام الاجتماعى فرديا وعائليا وحكوميا :

(١) الحرية الفردية . تقيد هذه الحرية بكل الاشياء التى لايحب شخص أن يستعملها ضده شخص غيره . ولم يبق فى أوروبا أمة واحدة لم تقبل مبدأ الحرية الفردية محددا هذا التحديد . ومن غير الحرية الفردية وحرية الضمير وحرية الفكر والنشر، لايمكن أن تمضى أمة متحضرة فى سبيل الارتقاء «ص ١٤٠ »

(٢) أما الوجه الثانى من أوجه الحرية الفردية فذو علاقة بالحياة العائلية. «ص ١٤٥ » أما العقلية الاوروبية فقدحلت هذه المشكلة أيضاً . فان الحياة العائلية فى أوروبا انماتقوم على مبدأ التساوي فى الحقوق .لأن الحياة لم تعط الرجل حقا أكبر ، ولم تحرم المرأة حقا ،مهما كان نوعه . فان الحياة مرح وسعادة . اذن وجب أن تعطى المرأة حرية الرجل ،و الرجل حرية المرأة. وليس على غير هذا الاساس تقوم الحياة العائلية الحرة .و هذه العقلية بالطبيعة ترفض الاعتراف بحق تعدد الزوجات ، وتسع بالضرورة مبدأ مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل في الاجتماع . « ص ١٤٦ » المرأة والرجل أحرار فردياً . وما الزواج إلا اشتراك يحدث بتوحيد مصالحهما وحقوقهما بمحض الاختيار، والطلاق عبارة عن فسخ هذه الشركة : إذن وجب أن يكون للزوج والزوجة نفس

هذه الحقوق المشتركة . والزواج موجه بكليته إلى خير الجماعة ويجب أن يقوم على هذه المبادىء » « ص ١٤٨ »

(٣) « حرية الحكومة : بحكم وجود أكثر من فردين اثنين فى هذه الحياة فرض نظام الحكم . ولهذا لزم أن تقوم الحكومة على صورة تضمن حقوق كل الناس ، ووجب أن يمثل فى نظاماتها كل شخص من أشخاص الرعية . وهذه هى الديمقراطية . ينبغى للحكومة أن تمثل شرائع الافراد وأن تقوم حفيظة على مصالح الجماعة . وان مصالح الجماهير لا يجب أن تعبث بمصالح الافراد . ولا يجب أن تعبث مصالح الافراد بمصالح الجماهير . إن مصالح الافراد والجماهير يلزم أن تسير متعاونة فى سبيل الخير والصلاح . وعلى هذا لا ترى حكومة أوروبية تستطيع أن تفكر فى أن تعتدى على مصالح الافراد « ص ١٤٩ »

ثانياً — الثقافة القومية : اننا انما نعيش اليوم فى عصر القومية ، ولم نصل بعد إلى عصر « الانسانية » . إن الحضارة الاوروبية تستهدى فى كل أعمالها وحركاتها بوحى القومية وحدها . إذن يجب علينا أن نسير على نهجها ونعمل عملها . لم تعترف أمة بحق أمة أخرى بعد . ولم تشفق أمة على غيرها ، ولم يهب شعب لنجدة آخر . وما الحروب الطاحنة التى قامت فى أوروبا إلا دليل حى على صحة ما نذهب اليه . ولقد حاول البعض أن يفسر موقف أوروبا العدائى أزاءنا بأنه راجع إلى بواعث دينية . وهذا ليس بصحيح . فان الحضارة الاوروبيه ليست بشعوبية مسيحية ، ولا هى بجمعية نصرانية . فان مثل هذه الاساليب التفكيرية قد زالت وانمحت من الذهنية الاوروبية . وليس أسخف من الحركات التي تقوم مناقضة لهذا المبدأ فى تاريخ الدنيا الحديثة . وما جمعية الامم إلا مثال محزن يؤيد صحة مذهبنا . فان العقلية الانسانية لم تقم بعد فى ضمائر الشعوب . ولهذا يتعذر علينا أن نعمل مؤتمين بموحيات المنطق

الانسانى . وليس لدينا إلا القومية والمنطق القومى وحدهما . . . . وهذا هو نتيجة التناحر على الحياة . وما التناحر إلا أساس الحياة فى كل مكان . هذا مبدأ ثابت لا مبدل له ،، . « ص ١٥٥ »

ثالثاً - - الاقتصاد القومى « ص ١٦٠ — ١٧١ » ان الاعتراف بحقوق الانسان قد مهد السبيل للحضارة الحديثة . فان الثقافة القومية قد خلقت فى الناس طابعاً خاصاً . أما الاقتصاد القومى فقد حفظ ذلك الطابع وزوده بالقوة التى بها يستطيع أن يشغل فى نظام هذه الدنيا أعلى مكانة . اذن فسيادة الحضارة الحديثة فى الواقع هو الاقتصاد القومى . وكل الدنيا انما تعمل اليوم على هذا المبدأ . وهذا نظام لم تتمتع به كل الامم على السواء . انه نظام يكاد يكون خاصاً بأسرة الأمم الاوروبية . وهو فى الواقع نتاج للعقلية الأوربية « ص ١٦١ »

،، إن هذا المبدأ من أقوي المبادىء التى قامت عليها الحضارة الحديثة . وهو مبدأ على أية حال مخالف تمام المخالفة للمبادىء التى قامت عليها حياة الشعوب القديمة . أما إذا كانت الشيوعية قد قامت خلال الزمان الذي ظهر فيه المسيح مثلا لكفت حاجات الناس لعهده . ولكنها كانت تحفظ على الجماعات طابعها الفطرى الاول على الدوام . فان المسيحية قد اتبعت مبدأ الانتاج على قدر الكفاية والكفاف . أما مبادىء الاقتصاد الحديث فمناقضة لهذا المبدأ تماماً . انها لا تقوم على قاعدة الانتاج على قدر الحاجة ، بل على مبدإ الاستهلاك بقدر الانتاج . والفرق بين المبدأين شاسع بعيد . انها تزيد الانتاج وفى الوقت ذاته تنوع فيه ،، « ص ١٦٧ »

هذا هو نظام الحضارة الاوروبية . وليس من شأننا أن نبحث فيما إذا كانت حضارة بحق أم انها بربرية ووحشية . كلا . يكفينا ان الحياة الانسانية تقوم على هذا الوجه فى العصر الحاضر . والواجب على تركيا أن تندمج فى هذه الاسرة المتحضرة وأن تقيم حقوقها وثقافتها واقتصادها على أسس

أوروبية . إن الحياة منطق صرف ، وجهد متواصل ، ولكنها بينة الطرق ممهودة السبيل ،،

***

(٢) مثال المدرسة الثانية

الاستاذ جلال نورى بك

« لقد عملت العثمانية » على أن تعطى العقلية الاسيوية صفة الاستمرار فى العقل الاوربى . وكانت هذه المحاولة فى حكم المستحيلات بمقتضى الوسط والبيئة . ولقد كانت بنا حاجة ماسة لان ننتحل العقلية والاساليب الاوروبية . ولكن حال دون ذلك التواء الأمر فى الادارة الحكومية . وهى الاساس الذى كانت تقوم عليه الدولة . حتى لقد وقفت هذه الحالات حجر عثرة فى سبيل أن « نستغرب » (١) وعاقت خطى التقدم طويلا . ذلك لان النظام الذي كان قائماً قد عجزت معه الأمة عن هضم المبادىء الغربية وتمثيلها (٢) وإدماجها فى النظام الاجتماعى (ص ١٠ — ١٨)

« ان الأمة التركية ذات كفايات عظيمة ، وعلى الاخص كفاية الادارة والنظام والقدرة على امتصاص الشعوب الاخرى (٣) أما المصيبة الكبرى التى نزلت بالشعب التركى فكانت العثمانية (٤) من ناحية وما تبعها من حب الاستمساك بالامبراطورية من جهة أخرى . فان سلاطين آل عثمان لم يعنوا يوماً واحداً بالشعب التركى ولا أبهوا ساعة بمصالحه الدنيوية . حتى لقد فصلوا بين العنصر النصرانى وبين المسلمين ، بل لم يحاولوا يوماً أن يصبغوا العناصر غير التركية من المسلمين بصبغة العنصرية التركية ليضمنوا بعض الثبات فى قوام الامبراطورية (ص ٢٤ — ٢٥)

---

(١) اى نصير غربيين على قياس نستشرق . (٢) التمثيل فى علم وظائف الأعضاء تغيير الطعام الى اجزاء حيويه والمعنى هذا مجازى صرف (٣) الامر الاخير مشكوك فيه كثيرا . (٤) اي العقلية العثمانية نسبة الى آل عثمان .

« إن الصفة الجوهرية التى غلبت على الحكومة العثمانية منذ زمان محمد الفاتح حتى نهاية عهدها ، كانت الجهل المطبق . فان محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية لم ينتهز أكبر فرصة كان من الواجب أنه لا يضيعها . فانه احتفظ برجال الكهنوت النصرانى وحماهم وأظلهم بعطفه دون رجال العلم الذين كانوا نور بيزنطية القديمة ؛ فهاجروا الى الغرب ونقلوا معهم ثمار العقل الانسانى . ولم يقف الامر عند هذا ، بل كون فئة من رجال اللاهوت الاسلامى مقلدا بهم رجال الكهنوت النصرانى من اهل الاورثوذوكسيه . وبذلك اتجهت العقلية التركية نحو الشرق دون الغرب. فقد ورثنا ديننا وثقافتنا بل جزء من لغتنا ، من تقاليد الشرق . وليلاحظ دائما أنه بعد سقوط القسطنطينية اخذ كل مافى العالم الغربى (أوروبا) يتغير ويتبدل ، حتى لقد فازت الشعوب بحرياتها مستبدلة بها النظام الاستبدادي القديم . هذا في حين ظل حكامنا فى جهلهم وعمايتهم غير عالمين بشىء من تلك الجلبة الواسعة النطاق التى كانت تفعم جو أوروبا (ص ٢٩)

ان الاتراك لم يدركوا قيمة القسطنطنية من ناحيه اقتصادية ، كبيئه تجاريه على اعظم جانب من الاهميه . فانهم بمجرد استيلائهم على المدينة غادرها البحارة البيزنطيون والجينويون ، وحتى البحارة الاتراك ، هاربين بانفسهم ، فائزين باعمارهم . اما السبب فى سقوط الحكومة العثمانيه فيرجع الى امرين : الاول قلة التجانس الشعوبى بين امم الامبراطورية . والثانى فقدان المثل القومى الاعلى في الحياة. وفى الوقت ذاته سلم الاتراك مواردهم لاصحاب الامتيازات وللاجانب وبين وخصوا اليونان والارمن بكل الميزات الداخلية للبلاد (ص ٣٤—٥٢)

أما من حيث العلاقة بين المدنية الاوروبية والنصرانية فان جلال نورى بك يقرر الآتى :

« ان من الخطأ الكبير أن تسمى المدنية الاوروبية أو المدنية الامريكية

مدنية نصرانية ؛ أي مدنية أقامها الدين النصرانى . فان الدين النصرانى قد تعدل على مقتضى الحركات الاجتماعية التى قامت فى أوروبا ، وبذلك أنقذ من الجمود وحالة الثبات ، حتى انك لا تجد اليوم الا قليلا من أوجه الشبه بين النصرانية كما وضع تعاليمها عيسى ، وبين النصرانية الحديثه . بل تستطيع أن تقول بكثير من التحقيق أن نصرانية العصر الحاضر تختلف جوهرياً عن النصرانية الأولى . فان الاوروبيين قد كونوا ديناً جديداً صرفا خلال التسعة عشر قرنا الفارطة ؛ رغم أنهم بدأوا الشوط بقصة عيسى . بيد أن النصرانية فى أوروبا ؛ على الرغم من معارضة أهل اللاهوت ؛ قد هضمت ومثلت كل الفكرات التى ظهرت على دور الأيام ؛ وعلى مر العصور . فان أوروبا عندما كانت تحارب الجهالة فى العصور الوسطى ؛ كانت النصرانية أيضاً فى حالة تدعو إلى الاشفاق . ولكن لم يمض على ذلك أربعة قرون حتى وقع فى الدين النصرانى حركة تطهير عام غولى فيها بتطرف . فان عدداً من الامم انفصلن عن الكنيسة الكاثوليكية ، وكون نظاماً جديداً . ولقد ترى أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية قد أخذت تنظم نفسها بنفسها . وعلى هذا ترى أن النصرانية لم تستطع أن تضطر أتباعها ان يظلوا قانعين بالصور القديمة في الدين والاجتماع . ولقد كانت الفكرات الحديثة فى نهاية هذه المراحل هى التى أعطت النصرانية لونها الجديد . فاذا هبط اليوم المسيح مرة أخرى على الارض فى هذه الايام ؛ إذن لظل غريباً ولرأي نفسه فى عزلة عن النصارى . ذلك لأن نصرانية العصر الحاضر ؛ أرقى بكثير من نصرانية المسيح ! !

« أما فى الاسلام فاننا لم نعهد مثل هذا الانقلاب التعديلى ، ولا مثل هذه التطورات الكبرى . ان الاسلام دين ينطوي على أرقى المبادىء وأشرفها وأعظمها ، ومع كل هذا فقد ظل جامدا لا يتغير بتأثير حكم أئمة الدين وفقهائه . فلو أن نصرانيا أخذ يتبع فى العصر الحاضر الشرائع التى كانت ذائعة فى عصر

عيسى ؛ اذن لشعر بأنه خلف العصر بقرون ؛ وأنه قبل الدنيا بمراحل عديدة .
إن النصرانية لم تتكون إلا بنسمة بسيطة أخذتها من نفحات عيسى. أما القوانين والشرائع و النظامات التى يسير بمقتضاها العالم النصرانى اليوم فنتاج لجهد العقول خلال التسعة عشر قرنا التى تبعت عصر عيسى . وأنت ترى على الاخص أن النصرانية قد حررت نفسها من الحياة السياسية . ولكن السياسة كان لها حرية كافية لتنمو و تصبح ذات أثر فى العالم الاوروبى ، فى حين أن أئمتنا و فقهاءنا لم يتبعوا يوماً ذلك الطريق الذي سارت فيه النصرانية ، فقد اعتقدوا بأن الشرائع لا يمكن أن تخضع يوماً لتعديل أو تغيير ، و بذلك سدوا كل باب يمكن أن يكون ولوجه سبباً فى إحداث تطورات جديدة أو اصلاحات ارتقائية تناسب مقتضى الحال . وانى لأعتقد أن هذا المبدإ مضاد لروح الشريعة الاسلامية . ولكن على الرغم من هذا ظل الاسلام جامداً متبلوراً طوال الازمان حتى زماننا هذا . فان الامام ابو حنيفة وبقية الأئمة الثلاثة لم يتورعوا عن أن يضعوا من القواعد التشريعية التى تتطلبها حاجات الحياة ، ما يضاد أوامر القرآن و نواهيه في بعض الاحيان ، متخذين التأويل لاصلاح الشريعة سبيلا . فلو أننا اتبعنا نفس هذه السياسة فى الدين ، فلا يبعد أن يكون الاسلام قد وصل الآن الى حالة توافق حاجات هذا العصر . غير أن فقهاء الاسلام لم يتبعوا هذه الطريقة . بل اتبعوا أحكام الأئمة الاربعة عماية وضلالا من غير نظر ولا تحقيق ولا مماشاة لمقتضى الحال ، و قفلوا على ذلك باب الاجتهاد ، فاقاموا بذلك أكبر سد من الجمود أمام الاسلام . لم يعرفوا أن شرائع الاسلام قد وضعت لتوافق مزاج العصر الذى وضعت فيه ، وأنه بتغير الازمان يجب أن تتغير بعض الشرائع بل بعض المباديء الدينية ذاتها ، والا فان باب الارتقاء يوصد ، و ان الامة التى تعيش فى ظل هذا الجمود لابد من أن يستعبدها غيرها من الامم . ان البقاء فى الاصفاد و الاغلال خضوعاً لفتوى أو لفتاوى قديمة ، إنما هو

بمثابة غل يحول دون الارتقاء والتقدم ، وليس لهذا من معنى ، اللهم إلا معنى الاستنامة والخضوع لمقتضى النظم الاجتماعية والاقتصادية والفكرات المدنية والسياسية التى كانت تلائم حالات تلك الازمان القديمة ، ولاجرم أن كل ماهو ثابت لايتحرك مقضى عليه بالرجعى والانحلال . هذا مبدأ ثابت من مبادىء الحياة »

« ومهما يكن من هذا الأمر ، فانه ليس من روح الاسلام فى شىء . إن فى الاسلام لمبدأ ارتقائياً عظيم الخطر هو مبدأ « الاجماع » . أما فقهاء الشريعة والدين فقد أنكروا هذا المبدإ كل إنكار . لقد استقوت أوروبا بمبادئها الارتقائية وحرية الفكر على الكنيسة النصرانية ، وبذلك استطاعت الأمم الغربية أن تنتفع كثيراً بما جد من الاستكشافات والاختراعات فى العلوم . أما الشعوب الآسيوية فقد ظلت لابسة تقاليدها القديمة ولم تحاول خلعها يوماً من الأيام . والمشكلة التى تواجهنا اليوم تنحصر فى طرفين : الحياة أم التقاليد ؟ وأيهما نتبع ؟ إن الحياة أمر أولى ثابت ، أما التقاليد فطلاء ظاهرى . وقد ينزل بعض هذه التقاليد منزلة القداسة . غير أننا يجب أن نعتقد أن قداسة التقاليد يجب أن تكون بنسبة نفعها للحياة . فاذا ظهرت هذه التقاليد مضرة بالحياة ، فمن الحمق والسفاهة أن نظل بها مستمسكين »

« هل في مستطاعنا أن نعيش وأن نرتقي وأن نقوى مع عكوفنا على وجهة النظر القديمة واستمساكنا بالتقاليد ؟ هل نستطيع أن نأخذ الفنون الاوروبية وننبذ أسلوب العقل الأوروبى ؟ أن هذين الامرين لايمكن الفصل بينهما . أن لاوروبا أسلوباً علمياً للدرس قائماً على أساس الحرية الفكرية . فان شيخاً من مشايخ هذه الايام (سنة ١٩٢٦) انما يخضع كل شىء ويحكم بين الناس بمقتضى نصوص قديمة مستمدة من كتاب قديم . وأنه فوق ذلك لمقيد بهذه النصوص القديمة مغلول اليدين بها . فاذا تنكب نصوصها حكم عليه بأنه من

لخوارج أى «كافر». وفى الممالك الاسلامية يخضع كل شىء فى السياسة والحضارة والحياة والملبس حتى والمأكل الى النصوص الدينية. خذ لذلك مثلا أن شيوخنا اذا أرادوا أن يحكموا اذا كان الماء طاهرا أوغير طاهر ليكون صالحا للوضوء أو غير صالح، فانه يفتح كتابه ليرجع اليه، وحتى لوكان الماء راكدا فاسداً فانه يحكم بصلاحيته، كلا: بل يحكم أنه مطهر من الادران. أما الاوروبى فيرجع الى حسه والى الكيمياء. أما نحن فنرجع الى الكتب القديمة. وهذا هو المثل المضروب فى السياسة وفى الشرائع الاجتماعية. إنما نحن نعيش ميتين فى تراب أئمة وفقهاء وضعوا لنا أحكامنا ثم بادوا منذ مئات من السنين. ولقد كانت التقاليد الدينية والعادات القديمة أكبر حائل صد الامم الاسلامية عن التقدم والارتقاء. ثم بدأت الحياة الروحية والنفسية وهناً على وهن، وشيئاً بعد شىء، تتبلور وتنعقد شأن السياسة والحياة الاجتماعية. ثم انحطت الاخلاق وساء السلوك وهما المقصد ان الاولان فى تعاليم الاديان. ولاجرم أن كل مسلم مستنير في هذا العصر إنما يحتقر وسطه ويستهزىء ببيئته، فى حين ان كل نصرانى مستنير يظل محافظاً على احترامه للكنيسة التى هو تابع لها. وعلى هذا نجد أن فقهاءنا قد أهملوا أمر الاخلاق وأمر الروحانية العليا معاً.»

«خذ لذلك مثلا مشكلة تعدد الزوجات باعتبارها نظاماً اجتماعياً. على أننا لا يجب أن ننسى أن اليهودية والنصرانية باعتبارهما من العادات الدينية لا يحرمان تعدد الزوجات. غير أن الكنيسة.. النصرانية قد حددت المبادىء القديمة بما يلائم مزاج أوروبا وحاجاتها، فاضطرت الى النهى عن تعدد الزوجات. وعلى هذا تجد أن أوروبا بدلا من أن تتمشى مع منطوق الشرائع الدينية النصرانية، قد اضطرت الكنيسة النصرانية أن تتمشى مع ما تتطلبه فكراتها الجديدة. وكذلك تجد أن لاهوتيي النصاري قد اعترفوا بكل قدماء الانبياء من العبرانيين، مع كل ما كان لهم من زوجات وسراري، على أنهم أنبياء صحيحة نبوتهم.

ويحتوى الانجيل على مئات من الآيات كلها تؤيد مبدأ تعدد الزوجات . أما النصارى فقد مروا على هذا مر الكرام من غير أن يعيروه التفاتاً . ثم نرى من جهة أخرى أن المسلمين لم يحتجوا يوما أو يعارضوا تعصب الفقهاء . ولم نر المسلمين فى عصر من العصور قد حاولوا أن يكافئوا بين أحوالهم وحاجات العصر على مدار التاريخ الاسلامى. ذلك لان التقاليد القديمة قد حجرت عقلية المسلمين واعدمتهم مشاعرهم جمعاء . وكانت الامة التركية أولى الامم الاسلامية التي استيقظت في ذلك النوم العميق . (ص ٥٨)

« يجب علينا أن ننتحل أسلوب الفكر الغربى . وليس فى الغرب من يهتم أقل اهتمام بشىء من النظريات المجردة المستمدة من الماضى ، مهما كان مصدرها ومهما كانت منزلة القائل بها . فى حين أننا فى الشرق نجد أن العلم قائماً على التقاليد. وبينما نجد أن العقل قد سفل وأخضع ؛ نجد أن التقاليد قد استعلت وتسودت. والتفكير فى الغرب حر غير مقيد . بينما هو فى الشرق مقيد مستبد به محتكم فيه . والدليل على هذا ان الشرقى اذا بدأ يفكر على أسلوب الفكر الحر ؛ شعر كأن سمكة خرجت من الماء . وأحيط ببيئة الموت والفناء ، فارتبك عقله واضطرب أمره » (ص٦٨)

« لقد فهم الاتراك أخيراً أن الاقوام الذين يعلقون مستقبلهم بمستقبل نظام ديني لا يحتمل أن يكونوا سعداء ، ولهذا انضم الاتراك الى ذلك المثل الغربى الاعلى ؛ مثل القومية ، ورضوا به بديلا عن التقاليد الاسلامية القديمة . فانك اذا أردت أن تكون مخلصاً للماضى متمسكا به ، وأن تظل في وحدة مع مستقبل ٣٠٠ مليوناً من الناس الجامدين الذين لم يعرفوا للرقى معنى ولا ذاقوا التقدم طعما ، فليس لهذا من معنى الا أن تثور ضد الحاضر وضد المستقبل ، بل معناه الصريح انك تفقد وجودك القومى .» (ص١١٦)

« لقد مهدنا فى الماضى تمهيداً كبيراً ليقظتنا الاخيرة وثورتنا العظمى .

LIBRARY

غير أن الحكومة التركية فقدت كل ميزان للمباديء وكل تقييم للصالح العام. لقد كانوا ينتحلون القوانين الغربية من ناحية ، ثم يضعون قانوناً أساسه الشريعة الاسلامية من ناحية أخرى ليكون أساس القوانين وأس الشرائع ! ولم يكن لهذا من مثل الا مثلك اذا أخذت تطبق طرق علاج الامراض الاوروبى واستعمال العقاقير، ثم بقيت على عهدك القديم فى تشخيص الامراض ومباديء علم وظائف الاعضاء ! » (ص١١٦ ـ ١٢٩)

« ان النصرانية لاتتكون فقط من الاناجيل . كما أنها لاتقوم عليهما . ففى خلال القرون الاولى من حياة النصرانية انتحلت المجالس الكنسية عقائد جديدة. وعلى الرغم من هذا فان هذه العقائد لم تظل ثابتة جامدة على مدى الازمان . فقد استقرئت مرات عديدة واستنتج منها ثم أضيف اليها . وبذلك تغيرت النصرانية عن أصلها تغيراً كبيراً . حتى أن المسيح لوقام اليوم مرة ثانية لظل غريبا بين النصارى ! ! لقد تغيرت الكنيسة النصرانية ، فى حين ظل الاسلام جامدا منذ عصر الأئمة الاربعة العظام . انه لم يتغير ولم يرتق . لقد وقف حيث كان . غير أن تلك الفكرة الخاطئة فكرة ، أن الشرائع لاتتغير، ليست بمبدإ إسلامى. فان الفقهاء قد أفسدوا الدين الاسلامى وأفقدوه المرونة المدنية اللازمة . وكان الواجب عليهم أن ينظروا فى مبدإ الاجماع نظرة اوسع مجالا وأبعد مدى ، أي كان من الواجب عليهم أن يتخذوا اجماع المسلمين فى كل عصر من العصور قاعدة للتشريع . وفى رأيي ان جمع القرآن فى صورة كتاب لم يكن مفيداً ولا نافعا. وليس فى السير القديمة على مايدلنا على أن النبى قد أمر بمثل هذا الجمع ومثل هذا الترتيب . على أن مجهودات عثمان أمير المؤمنين فى هذا الصدد غير محمودة ولا مشكورة على كل حال. فلدينا فى القرآن بضعة أوامر ونواه . وكانت أوامر ونواه مستقلة كما كانت تتطلب طبيعة المركز حينذاك . ولم تكن الفكرة أن تجمع هذه الاشياء فى صورة كتاب محبوك الطرفين. فان النبى لم يأمر أبدا بمثل هذا الامر ، ولم يحاوله . ولقد أغفل جامعو القرآن هذه الحقيقة . فان كل أمر من

أو امر القرآن كان ذا علاقة بحالة من حالات ذلك العصر . أما الاحاديث فليس في مستطاع أحد أن يثبت صحتها، اللهم الا عددا قليلا لا يتجاوز العشرة أو الخمسة عشر. أما اذا رجعنا الى النظامات والاحكام التي وضعها الفقهاء من بعد محمد ، فاننا لانستطيع أن نعلق عليها أية أهمية مطلقاً ، أو نعيرها أى وزن بحال من الاحوال . ذلك لان القرارات والاحكام التي أصدروها وأصبحت من مبادىء الاسلام بالتقليد والتواتر ، لم يكن لها الا أهمية جزئية أو قيمة زمانية فى ذلك العصر لاغير . . . كذلك لم يستطع فقهاؤنا أن يعرضوا على الناس من الاسلام صورة جذابة محببة. فى حين أن النصرانية على مافيها من المتناقضات التي يعدوها الحصر والمبادىء البعيدة عن القياس المنطقى، قد نظمت عباداتها على صورة توافق أمزجة الامم. فان النصرانية بأساسها الواهن الضعيف؛ قد لبست ثوباً أكثر جذبا للناس من الثوب الذى لبسه الاسلام على مافيه من قوة الاساس وقويم الدعائم . فان حركة الاصلاح الذي قام بها «لوثر» لعصر جديد فى تاريخ الكنيسة النصرانية. وليس من البعيد أن يكون «لوثر» اكبر من خدم الكنيسة . فان الاصلاح الذى قام به اذا لم يكن قد حدث بالفعل ، فلا يبعد أن تكون النصرانية قد سقطت منذ زمان بعيد ، وربما لم يكن لها اليوم من أثر الا أثر الرواية التاريخية ، شأن كثير من الديانات الاخرى . أما فى تاريخ الاسلام فاننا لن نقع على مثل هذا الجهد الابتكارى يصرف فى سبيل الاصلاح . فان المسلمين لم يكن لهم مدنية ارتقائية. ولقد استكشف الاتراك هذه الحقيقة. ثم تساءلوا ، لاى شىء وضع الدين أصلا؟ أليس لسعادة الانسان ورفاهيته ؟ ولكن افرض أن الدين أصبح عائقا يحول دون سعادة الامم ! ! أليس هذا لأن الامم لم تفهم الدين وغايته العليا فهما صحيحا ؟ ان الخطأ لم يكن فى الدين . بل كان الخطأ فى صدر الحكام الذين اتخذوا من الدين وسيلة يؤيدون بها استبدادهم . وهؤلاء هم طبقة الفقهاء من أهل اللاهوت . لهذا نبذنا هؤلاء جانبا واتبعنا وحى المدنية الغربية ، (١٣٠ص)

« اتباعا لشريعتنا يمكن للزوج أن يطلق زوجته فى أي وقت يشاء ، بعد أن تكون قد ظلت أمينة مخلصة له ، و بعد أن تكون قد ولدت له أولاأدا . كل هذا تلقاء مؤخر صداقها ونفقة ثلاثة أشهر. وليس هذا فى لغة الغرب طلاقا، بل طرداً . ولا يمكن أن تستقر حياة عائلية على مثل هذا الأساس الواهن الضعيف. ان حاجتنا تدعونا إلى أن ندرس العناصر الاساسية التى تقوم عليها المدنية الغربية . وأمم الشرق يجب أن تستنير على القواعد المأخوذ بها فى الحياة الغربية . اننا كثيراً مانتفوه بكلمة « المدنية الغربية » من غير أن نعرف ماهيتها وتاريخها (ص ٢٠٢)

ثم ينتقل المؤلف الى الكلام فى الحياة الاقتصادية ويمضى فى نقد الحكومة العثمانية القديمة فيقول

« ان الحكومة العثمانية لم تكن حكومة اقتصادية . ولم يكن للشعب التركى تقاليد اقتصادية يتبع قواعدها » . ثم يقول « ليس من البعيد أن تصبح أنقرة واشنطون أخرى ، والقسطنطينية نيويورك ثانية » . (ص ٢١٩)

ثم ينتقل إلى الحركة الادبية والجمال فيقول

« إن الحركة الارتقائية التى بدأها اليونان وتابعهم فيها الرومان، قد صدت النصرانية تيارها وأوقفته عن الانسياب . . . وبدأ مجد روما فى الافول... ولكنها احتاجت إلى ثلاثة قرون لتتم انحطاطها . . . وفى النهاية قبل العقل الانسانى إنساناً عادياً على أنه ابن الله وبدأ بعبادته . وكان الجهل سائداً تحت نظام الكهنوت فى القرن الخامس ، بل كان شاملا ، كل مكان . . . فان النصرانية فى ذلك العهد أنزلت الانسان منزلة البهائم السائمة . فان التفكير كان مخالفا للقانون ، والتعبير عن الرأى محرم . وكانت المناقشة معتبرة من الخطيئآت الكبرى. واعتبر الانسان ككائن نجس بعيد عن الطهر. وكان المعتقد أن الله هبط على هذه الارض فى شخص عيسى وأهدر دمه فداء لخطيئة آدم

وحواء . ولما كانت المرأة هي السبب فى هذه الخطيئة وضع كل الناس فى مستوى خطيئتها . وكان من الخطيئات الكبرى أن يعنى الانسان بجسمه من جراء اللعنة التى نزلت به . وأنكر الناس المصالح الزمنية لأن الدين لا يعنى بشيء اللهم إلا المصالح الروحية . واهمل الجسم باعتباره شيئاً غير طاهر . وجهد الناس أنفسهم أن يحصلوا على سعادة الروح . فوقعت الاجسام فريسة القذارة والفقر ، وكانا من الدلائل الثابتة على الطيبة وحب الخير . وكان يخشى من الاستحمام لئلا تزول عن الجسم مياه المعمودية . ولقد حظرت الكنيسة في اسبانيا غسل الجسم ومنعته بتاتا . وفى سنة ٤٦٧ ميلادية هدم الكردينال «سبينوزا» المستحمات العمومية التى كان العرب قدبنوها فى اسبانيا ، وانك لتجد أثر ذلك فى بلاد الحبشة حتى الآن، إذ يمتنع الناس عن الاستحمام لئلا يتمثلوا بالمسلمين . ويعتبرون ان هذا من حاجات النصرانية ، ولكن الانسانية لحسن الحظ لم تفن من نفوس الناس تماما بما أقام القديس بولص فى سبيلها من عوائق . ففى زماننا هذا تحررت الانسانية تماما من استبداد النصرانية التى اعتبرها «نيتشه» السبب الاول فى الانحطاط والخراب والسقوط . ولقد أخذت الانسانية تعود الآن مرة أخرى إلى مدنية اليونان ومدنية الرومان . وأخذت العقول تستيقظ من طويل سباتها وتستفيق من غطيط القرون الوسطى ، وعمدت تتطلع الى الحرية التى كانت لها قبل أن تغشى عليها النصرانية بأغشيتها الثقيلة (ص ٣٤٦ — ٣٦٥)

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الكلام باطناب فى أثر الاصلاح البروتستانتى فيقول :

« لقد كان الاصلاح البروتستانتى خطوة ارتقائية كبرى فى المدنية . لقد ألغى الدين ، وفى هذا تنحصر أهميته. وكما كانت النهضة التجديدية (الريناسنس) سببا فى ترقية العقول ، كان الاصلاح البروتستانتى سبباً في ترقية الروح .

فان الاستبداد و التعصب للذين اختصت بهما الكنيسة الرومانية ؛ قد زالا الآن من عالم الوجود . ونسيت الانسانية تماما آثار المذاهب المدرسية ، وبرزت اليونان وروما فى الرقى العلمى . لقد دخل « لوثر » المعركة وبضربة واحدة أسقط كثيرا من النظامات والاحكام البابوية . و مضى متبعا طريقا استطاع بها العودة الى مبادىء النصرانية الاولى ، واجتهد في أن ينجى الناس بأن يعود الى بعض المعتقدات العبرانية القديمة . وفى هذا وحده ينحصر الشبه بين حركة التجديد وحركة الاصلاح . فكما أن حركة التجديد حبذت العودة الى الآداب اليونانية والرومانية ، كذلك عادت حركة الاصلاح الى مبادىء أورشليم . ولقد انتحل « لوثر » - ذلك المجدد الجرمانى العظيم — حكمة الاسلام القائلة : « لا رهبانية فى الاسلام » ، فقال لدي تطبيقها على النصرانية — « لا رهبانية فى الدين المسيحى » . وبهذا أخلى الرهاب أماكنهم للمبشرين والوعاظ . ولم يقبل « لوثر » كما هى الحال فى اليهودية و الاسلام ، أى توسط بين الله ومخلوقاته ، وبذلك أصبح كل انسان « قسيس نفسه » وأصبح له الحق فى أن يقرأ العهدين القديم والجديد و أن يفهم منهما ما يشاء » .

« ان الثورة البروتستانية كانت ثورة دينية و سياسية معاً، ولقداستطاع « لوثر » أن يفتح سبيل الحرية لجزء عظيم من أهل الانسانية المعذبة المستبد بها عقولا وأجساما ، وبذلك أصبح عن قصد حينا ، ولاشعوريا حينا آخر ؛ المثل المحتذى في الجمعية الغربية الحديثه » (ص ٣٦٦ — ٣٩٥)

« ومع كل هذا لا يجب علينا أن نفعل عن ان لوثر وكالفن وهما عمادا البروتستانتية ، لم يكونا من المبشرين بالحرية الفكرية المدافعين عنها دفاعا مطلقا من القيود . فان هذا على الرغم من قبوله مبدأ حرية البحث والمناقشة قد تقيد بقاعدة ان كل شيء لابد من أن يكون موافقاً لنص الاناجيل . وكان

هذا هو السبب في ان مستكشفات كوبرنيكوس لم ترق لديهم . فان النصرانية قد نصت على ان الارض ثابتة فى وسط الكون ، وان ابن الله هبط الى الارض ليفتدي الدنيا بدمه . ولذا كان كل استكشاف يدل على وجود عوالم أخري غير هذه الدنيا معتبرا على نقيض التنزيل القدسى كما ورد فى الاناجيل »

« وبعد عراك طويل وحروب حامية الوطيس ، اضطر البابا أن يسلم فى جزء من أوروبا لهذا المذهب . ولقد ظهر التجديد فى الامور الدينية لدى أول ما ظهر به كأنه من أخطر الاشياء على المدنية ، ولكن بان بعد قليل ، وبعد أن هدأت ثائرة الحركات الرجعية ، انه خير عميم كسبت فيه الانسانية حرية ضميرها وفكرها وثبتت على أقوم القواعد فى أوروبا . وعلى الرغم من ان هذه الحركة ظلت زمانا مقصورة على بقاع محدودة ، فان النقد الحر قد ساعد العقول على أن ترتقي ذري التفكير العليا وأن تتفتح على عوالم جديدة لم تكن معروفة من قبل . فخلت بذلك الممالك البروتستانته من قساوسة الكثلكة المستبدين ، وتبدلت منهم برعاة الكنيسة البروتستانتية الذين وعظوا على أسس الآداب والشرائع القويمة »

« ولقد ظل المسلمون بعيدين عن سر تلك الانقلابات العظيمة التى حدثت فى ذلك العصر ، ومضوا عنها غرباء غير عالمين بشيء من جوهرها . وربما يعترض البعض بأننا لسنا مسيحيين ، ولذلك لم نستطع أن نأخذ منها بضلع . وعلى الرغم من هذا فانى أعتقد انه كان من الواجب أن نشترك فى نتائجها فى مختلف ميادين الفكر . وهذا ما نريد أن نقرر فى صدد الاسلام فى هذا الموطن »

« ولقد كانت كل الممالك الاوروبية فى ذلك الحين آخذة فى اصلاح أمورها الدينية ، بعد أن أصبحت ديانة القرون الوسطى فى حكم الاشياء المنبوذة ، وكان لابد من أن تحل محلها ديانة جديدة . فاعترف فى كل مكان بحق الحرية في الدين والفكر . على هذا كانت الحالة فى الغرب ، بينما ظل

فقهاء الدين فى الشرق عاكفين بحرارة على تعاليمهم المدرسية القديمة . ومن المستحسن أن نقرر هنا ان أهل اللاهوت في الشرق لم يبلغوا من التطرف فى النظر الدينى مبلغ جمود قساوسة الكنيسة الرومانية فى الغرب ، وظلوا يأمرون الناس بأن لا يفكروا خارج دائرة التقاليد القديمة . ولقد ظلت هذه العقلية سدا حال بين الشرق وبين تهذيب القوانين أو تغيير الشرائع . ولهذا السبب عينه عجز العثمانيون عن أن يجددوا فى الشرائع والقوانين الوضعية . فان مخالب التقاليد القديمة قد قتلت الحرية فى كل طرف من أطراف الحياة . وظل الناس خاضعين لتعاليم التقاليد قسرا عنهم . حتى لقد أفقدتنا المحافظة على القديم صفة الحياة ، كما قتلت أهل الصين من قبل . انها قد جردتنا من كل قدرة على الارتقاء والخطو إلى الامام »

« لقد ظل رجالنا على جهل كامل بحقيقة الثورة الاصلاحية فى أوروبا ، فى حين ان الاصلاح بيننا كان أيسر سبيلا وأهون طريقاً . ان الاصلاح قد نشدته الديانة الاسلامية ودعت اليه . وما الاسلام فى ذاته إلا حركة إصلاح قام بها نبينا منذ زمان طويل . لقد قام محمد وفى ذهنه ميل إلى وضع الدين بما يوافق دين ابراهيم وتحرير المذهب العيسوى . وبذلك يكون قد أعطى الناس ديناً كاملا نهائياً . ولا يكون للدين النهائى عندى من معنى ان لم يقم على أساسى الحرية والارتقاء . فمن أجل أن يكون في دين ما صفة « الغائية » ـ أى أنه يكون نهائياً - يجب أن يحتفظ بالباب مفتوحا غير موصد ، حتى لا يحول شيء فيه دون ايحاء آت جديدة . ففي القرن الاول من تاريخ الاسلام ، كان التسامح الدينى وحماية المناقشات الحرة فى بغداد والاندلس من حسنات ذلك العصر ، بل ومن مظاهره الكبرى . ولكن حالت دون هذ التسامح فيما بعد ، مذاهب المدرسية التى أقامها جامدو الفقهاء فعطلت المناقشات وقيد الفكر . ومنذ ذلك الحين

نام الاسلام والمسلمون ، ولم نبدأ فى الاستفاقة من تلك الغفوة الطويلة ، إلا منذ سنين قلائل »

« وعلى الجملة نريد أن نقول إن الشرق قد فقد من عمره ثلاثة قرون لانه لم يستفق بحركة الاصلاح البروتستانتى . وان كل أمم الشرق يشترلن فى هذه الخسارة الكبري (ص ٣٧٠ ـ ٣٨٠)

* * *

(٣) مثال المدرسة الثالثة

للاستاذ رفيق صدقى بك

« كانت الخطوة الثانية التى وجب علينا أن نخطوها بعد اعلان الجمهورية ، هو أن نفصل بين مطاليب الحياة وبين منازع الدين . أما اكبر حادثة وقعت فى تركيا بعد اعلان الجمهورية فكانت الغاء الخلافة . إن الاسلام فى جوهره قد دعا والحف فى الحض على ضرورة الفصل بين الحياة وبين الدين . ولقد ذكر فى العريضة التى قدمت الى المجلس الوطنى الكبير أن وجود الخلافة فى تركيا قد جعل تركيا بمثابة مسخ مزدوج الرأس فى كل الاعمال الداخلية والعلاقات الخارجية . وان تركيا أصبحت عاجزة عن أن تتحمل عبء هذه الثنائية الغريبة التكوين . وأصبح المعتقد أن الاحتفاظ باسرة عثمان على رأس الخلافة فى تركيا مجلبة للشرور والمخاطر تصيب فى أول ما تصيبه الحياة القومية. ففي مدارج الاسلام الاولى كانت الخلافة نظاما موضوعا ليمثل الحكومة ، ولهذا لم تصبح مع قيام حكومة وطنية قومية أية ضرورة لقيام الخلافة بجانبها. ولقد عبر كثير من رجال المجمع الوطنى الكبير عن رأيهم فى هذا الامر. فقال سيد بك : « إن العدل من صفات الله . وان حكومة تنفذ العدل فى تركيا يمكن كذلك أن تمثل الله فوق الارض . ان الحكومة قد تقوم ممثلة بالجمهورية وبحكومة عادلة . وما دام الامر كذلك فانى لا أعتبر قيام الخلافة الا تجديف

ووثنية»: وقال اخر. «قال الله لداود لقد جعلتك خليفة فى الارض فاحكم بالعدل بين الناس. وهذا يدل على أن أساس الخلافة هو الحرص على العدل وتنفيذه. وبذلك تصبح الخلافة حكومة «عادلة لا أقل ولا أكثر». ولقد خطب وزير الحقانية خطبة طويلة قال فيها: «لا يوجد فى الحديث الاسلامى كله حديث واحد يؤيد وجود الخلافة». وهذا يدل على أن الخلافة ليست شيئا جوهريا في الاسلام. انها شىء سياسى يخضع للتغايرات التى تقتضيها طبيعة الزمان. وبجانب هذا لدينا الحديث المعروف القائل بان الخلافة تكون بعد النبى ثلاثين سنة، فاذا زادت عن ذلك أصبحت استبدادا وفسادا. وعلى هذه الصورة الاخيرة كان الخلفاء. فقد أمرنا الله باتخاذ الشورى أساسا للحكومة. فاذا أردنا أن نثبت هذا النظام اليوم فانما نحن نرجع إلى أوامر الله. اننا لا نريد أن نحتفظ بخليفة يحلق من فوق رؤوسنا كشبح مخيف أو كابوس مضن. إن الاسلام يرفض بطبعه أن يكون فيه فئات كهنوتية كالنصرانية. وليس فى الاسلام نظام دينى ولا نظام ادارى. والاسلام فوق هذا لا يقدس من شىء الا «الحق» والدليل على هذا أن الله يدعى «الحق» فى دين الاسلام والاسلام لا ينافى رح والارتقاء فالاسلام لم يكن يوما من الايام حائلا بين تركيا وبين الارتقاء، بل كان نظام الخلافة هو عدو الارتقاء والتقدم وعدو العلم والمدنية.. لقد ملىء الاسلام حتى عصرنا هذا بتقاليد غير صحيحة. إن الاسلام الصحيح ضد كل الفكرات الخاطئة البعيدة عن الحق. وكان من أخص الصلوات التى يوجهها النبى لله قوله ما معناه «ارشدنا يارب الى معرفة الحق كما هو» (ص ١٩٥)

ولقد رجع رفيق صدقى بك يعالج الثورة الدينيه فى تركيا فعمد الى «نخته» الفيلسوف الالمانى ينقل عنه هذه الفقرات.

«ان الدين لا يطلب من الناس الا أن يكونوا عدولا خيرين. على أن كثيرا من الناس قد أساؤوا استعمال الدين فوجهوه الى منافعهم وشوهوه تشويها.

عمدوا الى التفكير في جنه الفردوس وحدها . من غير أن يعيروا هذه الحياة التفاتا. وأهملوا التفكير في أمر الحكومة والوطن والامة كأنها أشياء لا تستحق الاهتمام أو التفكير. فهل كان الله قد قدر أن يهبط الانسان الى هذه الارض ليفكر فى جنة الفردوس وحدها ؟ كلا . فان الناس عليهم واجبات ايجابية فى هذه الحياة . ولم يكن الدين الا سلوة يتسلى بها العبيد والمستعبدون . ولا تنسى بجانب هذا أن المستبد الفاجر يحاول دائما أن يبشر للناس بفكرة الخضوع والتسليم للدين . ويزين لهم الاستمتاع بما ينتظرهم من نعيم فى جنة الفردوس . والواجب علينا أن نحذر امثال هذه التصورات الملونة بلون الدين. إنه لا يجب أن نخلق من هذه الحياة جهنما مستعرة الاوار لنفوز من طريقها بالفردوس المفقود . الواجب أن نبحث عن الفردوس فوق هذه الارض ،،

ثم يضيف المؤلف الى هذا قوله !

« من هذه الكلمات تتمثل روح ثورتنا الدينية ومثلها الاعلى . اننا لن نعمد بعد هذا الى الدين ليكون وسيلة لتصريف حالات هذه الحياة الدنيا » (ص ٢١ ملحق)

ثم يعمد الى الافصاح عن حقيقة الثورة التركية ومراميها فيقول .

ان غرضنا ينحصر فى أن نصل الى ما وصلت اليه الامم المتمدينة الاخرى فى ميدان الحياة السياسية والمدنية والاقتصادية ، وأن نشغل بين هذه الامم مقاما خليقا بنا . لقد ضيعنا كثيراً من الوقت فى الماضى . ان الوقت ثمين ، ولا يجب أن نضيع شيئا منه بعد ذلك . ان الغرض الذى ترمى اليه الثورة التركية هو أن نصل الى مقام الامم الاخرى فى الحضارة والمدنية . ولكى نرتقي مدنيا واجتماعيا قمنا بالثورة . وهذا الغرض احدى اسسها الاولى (ص ٢٣٣) .

• • •

وهنا يجب علينا أن نختم القول فى وثبة الشرق بكلمات حكيمة فاه بها وزير الحقانيه التركية عند ما أراد أن يعرض على المجلس الوطنى التركى القانون

المدنى الحديث الذى استبدل به القانون القديم فى فبراير سنة ١٩٢٦ اذ قال.

« إن القوانين القائمة على أساس الدين انما تعود بالجماعات الى الحالات البدائية الاولى . فتصبح بذلك اكبر عائق دون الارتقاء . ولا خفاء فى أن قوانيننا القديمة التى استمدت من احكام الدين الثابتة غير المتغيرة ، كانت اكبر عامل فى تقييد تركيا بقيود القرون الوسطى . وفي اليوم الذى يكسب فيه هذا القانون الجديد قوة التشريع ، تخلص تركيا من المعتقدات الخاطئة المضلة والتقاليد الفاسدة التى استطاعت أن تقيد الامة بقيود من حديد ثلاثة عشر قرنا من الزمان . إن هذا سوف يسد باب الحضارات القديمة ، ويفتح لنا الباب الآخر واسعا لنلجه الى حيث الحضارة الحديثة . حضارة الحياة والارتقاء . »

حاشية — ذكرنا فى المقدمة اسم « ولز » ونسبنا اليه الكلمة المعروفة « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » والحقيقة أنها للشاعر « كبلنج » ففضلنا التنوية ولو أن المقصود هو المعنى لا الشخص

الشفق الباكى

للدكتور أبى شادى

شعر ، ونقد ، وأدب عام

يطلب من المطبعة السلفية بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة

13 JUN 1928

ظهر حديثاً

قصة الطوفان

وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هى الاشورية والبابلية والعبرانية والمسيحية وانتقالها باللقاح إلى المدينة الاسلامية

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

بحث فى مقارنة الأديان يقع فى ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه مقدمة مستفيضة عن حدود المعرفة الانسانية وتقسيمها على مقتضى كفايات العقل الانسانى . وفى هذه المقدمة تحليل دقيق للفرض الامكانى والفرض الضرورى والفرق بينهما واثبات أن فكرة وجود الله فرض ضرورى للاحتفاظ بألفة العقل الانسانى . ثم يلى ذلك استعراض لقصة الطوفان كما وردت فى القرآن ثم استعراض لها كما وردت فى سفر التكوين وهو السفر الأول من أسفار توراة موسى . ثم فصل مستفيض فى أصل القصة عند البابليين وأبطالها وأطوارها وأساسها ونهايتها ووصف كامل لنوح البابلى — أوت نابشتيم — وكيف صنع الفلك وكيف رسى على الجبل وكيف أرسل من الطير رسلا وكيف منحته الآلهة الخلود — كل هذا فى أسلوب روائى ميثولوجى طريف ، كما قرئت القصة فى الالواح التى عثر عليها فى نقائض بابل

ثم بعد ذلك فصل فى مقارنات عامة بين القصص الميثولوجية المختلفة كما وردت فى مختلف العقائد عند الاغريق وأهل الهند وفى الآداب السنسكريتية والأقاصيص الصينية وعند المصريين وفى بلاد المكسيك وعند قبائل « النهوا » وفى البرازيل وهنود كاليفورينا . كل هذا مسوق فى صورة مقارنات مع ما ورد فى الديانات الكبرى ، اعتمد فيها على جمع من كبار المؤلفين مثل جاكسون وبنشز وموولتون وسير مونيار وليمز ومكنزى وكنج والعلامة روبرت برون الصغير وويدمان ولينستر وكيتنج وأسفار الرغفيدا والفانا بارفا والمهابهاراتا وغيرها

الثمن ٥ قروش بخلاف أجرة البريد

يطلب من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة

أصل الأنواع

ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة في التنازع على البقاء

ألفه العلامة الكبير معلم القرن التاسع عشر

شارلس روبرت داروين

و نقله الى العربية و علق حواشية المستفيضة

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور و محررها

يصدر في أجزاء متتالية عددها خمسة متساوية الحجم كل منها ثلاثة فصول من الاصل ماعدا ملحق بالتعليقات و الشروح التي وضعها المترجم

ولا يخفى أن نزعة أكثر العلماء والفلاسفة متجهة اليوم الى تطبيق قواعد مذهب النشوء الاولية على فروع العلوم الحديثة و على فروع الفلسفتين العقلية و الوصفية . لهذا يعتقد زعماء الحركة الفكرية في الغرب أن الوقوف على تفاصيل هذا المذهب الكبير أساس ضروري لتكوين أسلوب عقلي يوافق مجرى الفكر الانساني كما صبه فيه زعماء النشوئيين في أواخر القرن التاسع عشر . لهذا يجب على كل متعلم و عالم أن يقرأ هذا المذهب في منتبه الأصلي « أصل الأنواع » ذلك الكتاب الخالد الذي لا يستغني عنه عقل مثقف على النمط الحديث

ظهر منه جزآن ثمن كل منهما ١٥ قرشا صاغا بخلاف أجرة البريد

و سيظهر الجزء الثالث في مدى شهر واحد

أطلبه من دار العصور و من المكاتب الشهيرة

13 JUN 1988

٧٤

ثلاث أوبرات كاملة

من تأليف الشاعر المجدد الكبير

احمد زكي ابو شادي

١ _ الآلهة

٢ _ بنت الصحراء

٣ _ اخناتون

وهى أوپرات كبرى متنوعة عنيت دار العصور للطبع والنشر باصدارها بما عرف عنها من العناية الكاملة بامثال هذه المطبوعات .

ولقد أظهر الدكتور أبو شادى فى هذه الاوپرات من القدرة على جمال الوضع وحسن النسق ودقة الاختيار وروعة المواقف مايشهد له بالعبقرية الفائقة فى هذا الميدان الذى تفرد به وحده حتى الآن .

فى هذه الاوپرات الثلاث خيال وتاريخ وحقيقة : ففي الآلهة خيال سام ، وفي اخناتون تاريخ ومواعظ ، وفى بنت الصحراء حقيقة وعواطف

ثمن كل نسخة ٥ قروش صاغ بخلاف أجرة البريد ، فاطلبها من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة

13 JUN 1988

AUC - LIBRARY

DATE DUE

21 MAY 1990

A.U.C

4 SEP 1994

main
0000000057220
CB 251 M35 1929

Mazhar, Isma'il
Wathbat al-sharq

CB 251 M35 1929

13 JUN 1988

CB
251
M35
1929